

نظرية المعرفة عند إدجار موران

نظرية المعرفة عند إدجار موران
الدكتور/محمود إبراهيم محمد عبد القادر
أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة المساعد
كلية الآداب - جامعة أسيوط

مقدمة :

يُعد مبحث المعرفة من أهم مباحث الفلسفة الأساسية، وعليه فقد حظيت نظرية المعرفة باهتمام كثير من الفلاسفة في كل العصور بدءاً من القديم، ومروراً بالوسيط، ووصولاً إلى الحديث والمعاصر الذي يُعد من أزهى العصور التي تُبين أهمية نظرية المعرفة، ولا أدل على ذلك أكثر من اهتمام أعلام الفلسفة الحديثة أمثال رينيه ديكار، إيمانويل كانط، جون لوك، وديفيد هيوم وغيرهم بنظرية المعرفة، على الرغم من التباين والاختلاف في معالجة كل منهم لتلك النظرية.

والمعرفة أحد فروع الفلسفة الذي يدرس طبيعة ومنظور المعرفة الإنسانية وإمكاناتها ومصادرها وحدودها ومجالاتها، ويسعى للإجابة على تساؤلات متعددة، منها: ما المعرفة؟ وما مصادرها؟ كيف نصل إلى طبيعة الأشياء؟ ما معايير المعرفة؟ وبالإجابة على مثل تلك التساؤلات يُدرك الإنسان وجوده ووجود الموجودات الأخرى؛ لأن الإنسان يتميز عن باقي الموجودات بقوته العقلية، وبالتالي المعرفية، فبالمعرفة وأدواتها يصل الإنسان إلى تفسير الواقع وحقائقه، وتستطيع الذات الإنسانية أن تسيطر على الطبيعة عموماً، وعلى أي موضوع آخر بهدف اكتشاف حقائقه المميزة؛ لأن الأصل في المعرفة هو البناء العقلي للموضوع، وهي تزداد دقة وتحديد بفضل تطور المفاهيم المعاصرة، والمناهج العلمية.

أما عن أهمية المعرفة فتكمن في تحقيق الوعي الإنساني اللازم لفهم المعارف الواقعية واليقين فيها، وتحديد مسار الرؤية الكونية، والايديولوجية، وبالتالي تسهم في تحديد مسار حياة الإنسان وتطلعاته نحو الكون والحياة؛ لأنها قائمة على محوري الذات والموضوع، وبالمعرفة يدرك الإنسان صور الموجودات والأشياء على ما هي عليه.

وبناء على أهمية نظرية المعرفة ودورها المحوري في الفكر الفلسفي كان موضوع هذه الدراسة "نظرية المعرفة عند إدجار موران (١٩٢١م-)" وهو فيلسوف فرنسي، يُعد من أبرز فلاسفة القرن

العشرين والواحد والعشرين، وله إسهامات فلسفية متنوعة، منها نظرية المعرفة، فلسفة البيئة، والفلسفة السياسية وغيرها، وقد شغل الكثير من المناصب، لعل أهمها مدير مركز دراسات البحث العلمي، حيث صدر له عدة مؤلفات منها: المنهج (في خمسة أجزاء)، والفكر والمستقبل، وهل نسير إلى الهاوية؟ والنهج إنسانية الإنسان، وروح الزمان (في جزأين)، وعنف العالم، وثقافة أوروبا وبربريتها، ونجوم السينما، بالإضافة إلى الكثير من المقالات في كافة المجالات والتخصصات، تتلخص فلسفته في أنه يرى أننا نعيش في فترة من تاريخ الفكر البشري نشترك فيها جميعاً في تحديد مصير الإنسانية في أي مكان؛ لأننا جميعاً نشكل مجتمعاً واحداً قائماً على الموجود الإنساني وهويته الفردية، وقد كان مشاركاً في قضايا مجتمعه بشكل واضح مقدماً الحلول لتلك المشكلات، ومهتماً بمعنى المعرفة والثقافة؛ ليكشف عن كثير من المفاهيم والتصورات، كذلك اهتم بنتائج علم البيولوجيا وتطوراته، وأبعاد قضاياها، وأثر ذلك في تصور الإنسان لذاته ومجتمعه، وموقفه داخل الوجود، كما نادى بضرورة الفكر المركب الذي يؤدي إلى التواصل والاتصال وقبول الآخر.

مشكلة الدراسة:

أما عن مشكلة الدراسة فإنها تتمثل في محاولة فهم معنى وإطار نظرية المعرفة عند إدجار موران، لأنها تمثل محوراً رئيساً في فلسفته؛ وكذلك معرفة كيفية تنظيم المعرفة، ثم بيان دور الذات في الحصول على المعارف وفهم طبيعة الموضوعات، ومحاولة فهم العلاقة بين المعرفة والتقدم، والمعرفة والزمان، وكذلك التعرف على دور العقل في الحصول على المعارف اليقينية لطرح آفاق جديدة وإبراز أسئلة وقضايا متنوعة، وأخيراً إبراز دور موران في فهم المعرفة بطريقة تتناسب مع طبيعة الفكر الفلسفي المعاصر.

أهداف الدراسة: ترجع أهداف الدراسة إلى:

أولاً- توضيح أبعاد نظرية المعرفة عند موران، وإبراز دورها في سياق فلسفته بشكل عام، وبيان أننا لا نستطيع أن نعيش إلا في ظل جوانب المعرفة المتعددة.
ثانياً- بيان أن كل معرفة مدونة في سياق وإطار ثقافي واجتماعي وتاريخي، وبالتالي لا يمكن أن نستبعد المحرك الأول لكل علم، ألا وهو معرفة حقيقته.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

ثالثاً- توضيح أثر المعرفة على تطور فكر موران، وبيان أن المعرفة من أهم المحددات التي يجب الاهتمام بها لتعميق الوعي الإنساني وفهم طبيعة الموجودات، وبالتالي القدرة على تفسير الظواهر والأحداث.

رابعاً- الكشف عن النتائج المترتبة على نظرية المعرفة عند موران لإيضاح مدى ملاءمتها وتوافقها مع الفكر الفلسفي المعاصر، وبيان إلى أي مدى كان متفقاً أو مختلفاً مع سابقه أو معاصريه؟.

منهج الدراسة :

اقتضت طبيعة هذه الدراسة الاعتماد على منهجين، هما: المنهج التحليلي، حيث يقوم الباحث بعرض وتحليل المفاهيم والمصطلحات والقضايا المتعلقة بنظرية المعرفة الواردة في مؤلفات موران، وبيان أثرها ونتائجها، والمنهج المقارن حيث يقوم الباحث بعقد مقارنات مع الكثير من الفلاسفة حول نظرية المعرفة لبيان أوجه الاتفاق والاختلاف، وكذلك يستخدم الباحث المنهج النقدي كلما لزم الأمر ذلك.

مجاور الدراسة :

أولاً- معنى المعرفة عند موران.

ثانياً- تنظيم المعرفة.

ثالثاً- دور الذات في المعرفة: (الانسجام والانفتاح الإبيستمولوجي).

رابعاً- المعرفة والزمان.

خامساً- المعرفة والتقدم.

سادساً- دور العقل في بناء المعرفة.

أخيراً- الخاتمة ونتائج البحث.

أولاً- معنى المعرفة عند موران:

المعرفة هي إدراك الأشياء وتصورها، وهي العلم مطلقاً تصوراً كان أو تصديقاً، وهي الفعل العقلي الذي يتم به حصول صورة الشيء في الذهن، سواء كان حصولها مصحوباً بالانفعال أو غير مصحوب به، وفي هذا إشارة إلى أن المعرفة اتصال وتقابل بين الذات المدركة والموضوع المدرك، والمعرفة أيضاً هي الفعل العقلي الذي يتم به النفوذ إلى

جوهر الموضوع لتفهم حقيقته، بحيث تكون المعرفة الكاملة بالشيء خالية ذاتياً من كل غموض والتباس، ومحيطاً موضوعياً بكل ما يتعلق بالشيء في الواقع(١).

والمعرفة هي معادلة بين العارف وما يحيط به من ظواهر وأعراض، من هنا كان السؤال المطروح هو القيمة الحقيقية لكل معرفة، فهناك معرفة أولى تكون عن طريق الحواس تقودنا إلى تقرير وجود الشيء وجوداً مادياً حسيماً مجسداً، كما تحاول المعرفة أن تفهم الأشياء وتدرکها، فتلجأ إلى صياغة المفاهيم العقلانية المجردة مع الإقرار الحسي بوجود الأشياء، ثم محاولة إدراك كنهها، أي فهم الجوهر الأخير للأعراض(٢)، كما تعمل المعرفة على تحول المفاهيم المبعثرة إلى شكلٍ كليٍّ تحتفظ فيه بما يمكن نقله للأخرين كأساس راسخ للفعل العملي، ومن هذه الزاوية فإن المعرفة تتعارض مع الأفكار الفجة التي تعبر عن صفات الأشياء التجريبية القابلة للتغيير(٣)، وبالتالي لا بد في ميدان المعرفة من تحديد موضوعاتها، وهو أمر لا خلاف فيه؛ بسبب التقدم في مناهجها، وكذلك بسبب العلاقات بين العلوم والفلسفة، فأوضاع المعرفة قد تغيرت عن ذي قبل، وأصبحت مناهجها أكثر دقة(٤).

أما موران فيرى أن المعرفة هي نشاط(إدراك) وإنتاج لهذا النشاط في الآن، وأن المعرفة العقلية هي المعرفة الإنسانية الخالصة والانبثاق الأقصى لتطور دماغي يكتمل فيه التطور البيولوجي، ويبدأ بعد ذلك التطور الثقافي للإنسانية، والمعرفة الدماغية هي تطور لمعرفة تلازم كل تنظيم حي، كما أننا لا نستطيع أن نعيش إلا مع جوانب المعرفة، فمثلاً لا يستطيع الكائن الحي الاستمرار في الحياة في بيئة معينة إلا بمعرفة هذه البيئة، والحياة لا يمكن أن تكون قابلة للبقاء والعيش دون معرفة، والمعرفة البشرية ثقافية وعقلية ودماغية وحوسبية في آن، وهي معرفة فرد منتج ومنتج لعملية تنظيمية ذاتية بيئية متجددة(٥).

- ١- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الجزء الثاني، ١٩٨٢م، ص ص ٣٩٢-٣٩٣.
- ٢- تحرير: معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، المجلد الأول، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص ٧٥٣.
- ٣- إشراف: روزنتال، يودين: الموسوعة الفلسفية وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، ترجمة: سمير كرم، مراجعة: صادق جلال العظم، جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ديت، ص ٨٣.
- ٤- عبدالفتاح الديدي: نظرية المعرفة الناسلية، مجلة المجلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٩٥، ١٩٦٤م، ص ص ٧٢-٧٣.
- ٥- إدجار موران: المنهج معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة، ترجمة: جمال شحيد، مراجعة: مورييس أبو ناضر، الجزء الثالث، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص ص ٣٠٣-٣٠٤.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

ثم يؤكد موران أنه يجب البدء بمعرفة المشكلات الجوهرية للعالم، فالعصر الكوكبي الذي نعيشه يتطلب وضع كل شيء في إطار السياق والمركب، فمعرفة العالم تشكل ضرورة عقلية، وبالتالي طرح موران تساؤلات متعددة، منها: كيف يمكن معرفة العالم؟ كيف يمكن تنظيم هذه المعرفة؟ كيف يمكن أن ندرك ونحافظ على السياق والشمول والمتعدد الأبعاد والمركب؟ ويجب أن نجد إجابة عن هذه الأسئلة. ويجب إصلاح الفكر لكي نتجنب من فصل وتنظيم المعارف، وبالتالي حل مشكلات العالم ومعرفة بشكل أفضل (٦)، ثم يُبين أن كل معرفة مدونة في سياق ثقافي واجتماعي وتاريخي ومنوطة به، لكن المشكلة هي أن نعرف التدوينات والتجذرات والتبعيات وأن نتساءل حول استقلالية وتحرر المعرفة والفكر، فلا تستطيع سوسيولوجيا المعرفة أن تُغيب المحرك الأول لكل علم ألا وهو البحث عن معرفة حقيقية (٧).

وبناء عليه لكي تحظى سوسيولوجيا المعرفة ببعض إمكانات الحقيقة يجب أن تكون قادرة على إدراك الشروط الاجتماعية لإمكانات المعرفة، وبهذا المعنى ينبغي عليها أن تتساءل عن إمكانية استقلالية المعرفة ومعها أيضا شروط ظهور النقد الحر والموضوعية والتعقل، ولكن دون الاعتقاد في أن ذلك يبيت في حقيقة المعارف التي تنشأ في مثل تلك الظروف (٨).

أما عن أنواع المعرفة فهي تختلف من فيلسوف لآخر، فمثلا عند جلبرت رايل يقسمها إلى معرفة قضوية (أي قضية أو معرفة أن) كمعرفة أن اليوم هو يوم الجمعة فهذه قضية، والقضية هي الجملة الخبرية التي تحتمل الصدق والكذب، ثم معرفة غير قضوية (أي معرفة كيف) وهي متمثلة في الإدراك المباشر لشيء ما، مثل معرفة كيفية قيادة السيارة، أما راسل فيقسم المعرفة إلى: معرفة بالإدراك المباشر وهي تعني ما نقصده مباشرة بلا واسطة

٦- إدجار موران: تربية المستقبل، ترجمة: عزيز لزرق، منير الحجوجي، دار اليونسكو وتوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٣٥.

٧- إدجار موران: المنهج الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها، وتنظيمها، ترجمة: جمال شحيد، مراجعة: مورييس أبو ناضر، الجزء الرابع، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص ٢٢.

٨- إدجار موران: المنهج الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها، الجزء الرابع، سبق ذكره، ص ٢٣.

د/ محمود إبراهيم محمد عبد القادر

كاللون والرائحة والشكل والصلابة، ثم المعرفة بالوصف وهي المعرفة بالشيء كما هو، كمعرفة المنضدة باعتبارها شيئاً مادياً (٩).

وهكذا فقد دأب الفلاسفة منذ ديكارت حتي عصرنا على بناء المعرفة على أساس ملائم، وسواء كان هذا الأساس يضمنه العقل وحده كما يقول العقليون، أو تضمنه التجربة وحدها كما يقول التجريبيون، فإنه يُشكل الركيزة الأولى أو البنية التحتية التي يقام عليها صرح المعرفة، ويتمثل هذا الأساس في مجموعة من الاعتقادات لا سبيل إلى الشك فيها، والتي نستدل منها على اعتقادات أخرى إضافية تؤلف البنية الفوقية لنظرية المعرفة، وتسمى هذه النظرية في التسويغ الإبستمولوجي باسم النزعة الأساسية، أو نظرية الأسس (١٠).

ومن ذلك يتبين أن هناك ضرورة للبحث الفلسفي في نظرية المعرفة، لأنها تنصب على دراسة طبيعة المعرفة البشرية وتفسيرها وماهيتها، وتعرض لأصولها وأدواتها وتتناول إمكان قيامها، وهي تواجه أيضاً مشكلة أصل العلم الإنساني ومصدره (١١)، فالفيلسوف يحاول طرح تصوراتهِ وتساؤلاتهِ فبدأ باستعمال معرفته عن الأشياء الطبيعية الخارجية لاختبار مدى ملائمة عدة معايير محتملة للمعرفة، ثم يطبق بعد ذلك ما يعتبره معياراً ملائماً للمعرفة ليقرر بعد ذلك ما يعرفه عن الآخرين (١٢).

ويرى الباحث أن المعرفة تُعد من أهم المحددات التي يجب الاهتمام بها، لأنها تعمل على تعميق الوعي، وفهم طبيعة الموجودات، وتفسير الظواهر وفقاً لحدود تلك المعرفة، فبالمعرفة يُدرك الإنسان حقيقة الأشياء من خلال البحث عن الأسباب والمسببات وما يترتب عليها من نتائج، كذلك ثمة اتصال وتقابل بين الذات المدركة والموضوع المدرك، لأن المعرفة خبرات ومهارات مكتسبة من خلال التعلم والتجربة.

ثانياً: تنظيم المعرفة :

- ٩- أحمد الكرساوي: مدخل إلى نظرية المعرفة، تكوين للدراسات والأبحاث، ديت، ص ص ٢٣-٢٤.
- ١٠- صلاح إسماعيل: اللغة والعقل والعلم في الفلسفة المعاصرة، رؤية للنشر، القاهرة، ٢٠١٨م، ص ص ٢١١-٢١٢.
- ١١- حسن مجيد العبيدي: من الآخر إلى الذات، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص ١٥.
- ١٢- رودريك تشيزهولم: نظرية المعرفة، ترجمة: نجيب الحصادي، الدار الدولية للنشر، مصر- كندا، ١٩٩٤م، ص ٨١.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

تُعد المعرفة صورة لما يجري في العالم من وقائع وأحداث، فالحقائق الخارجية هي بمثابة الأصل، ومعرفتي بها بمثابة الصورة، على هذا الأساس في فهم الأشياء وما يحدث لها يقوم التفاهم في الحياة العملية (١٣)، وهنا يبدأ موران بتشخيص المشكلة ويرى أننا نعلم المعارف لكننا لا نعلم أبدا ما هي المعرفة، فما نعرفه من معارف كانت صحيحة في الماضي والآن أصبحت تبدو لنا طفولية وأحيانا خاطئة، ثم من يضمن لنا أن اعتقاداتنا اليوم ليس وضعها ماثلا؟ لأننا نعيش في الوهم أن الحاضر واضح وأن الأخطاء حكر على الماضي، هنا تكمن المشكلة في معرفة المعرفة، ومعرفة فخ المعرفة، فيجب أن تكون هي المحور الذي يُدرس منذ الصغر (١٤).

ثم يُبين موران أننا لدينا معارف متنوعة حول العالم، غير أن العلم أعطي الغلبة شيئا فشيئا لمناهج التحقق التجريبي والمنطقي، فكما تتقدم معارفنا يتقدم الخطأ والجهل، فمن الضروري أن يصير لنا وعيا حقيقيا بعدة أمور منها: ١- لا يكمن السبب العميق للخطأ في الخطأ، بل في صيغة تنظيم معرفتنا في شكل نسق من الأفكار ٢- هناك جهل مرتبط بتطور العلم نفسه ٣- هناك جهل مرتبط بالعقل ٤- ترتبط أخطر التهديدات التي تترىص بالبشرية بالتقدم الأعمى وغير المُتحكم فيه للمعرفة، فهذه الأخطاء والأخطار لها طابع مشترك يكمن في كونها ناجمة عن صيغة مشوهة لتنظيم المعرفة وغير قادرة على الاعتراف بتعقيد الواقع (١٥)، فحواسنا تمكننا من معرفة الأشياء وتمييزها وفحصها بحيث يتسنى تطبيقها في استعمالاتنا لمواجهة مقتضيات الحياة، فلو تغيرت حواسنا وأصبحت أسرع لتغيرت مظاهر الأشياء ونظمها الخارجية في نظرنا تماما (١٦).

فكل معرفة تعمل من خلال انتقاء المعطيات الدالة وطرح المعطيات غير الدالة: فهي توحد وتفرق وترتب وترتكز على المفاهيم الكبرى، وتستخدم المنطق لتنظيم الفكر، إنها بمثابة مبادئ خفية تحكم رؤيتنا للأشياء والعالم دون أن نشعر بها، فمثلا في اللحظة

١٣- زكي نجيب محمود: نظرية المعرفة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٨م، ص ١٣.

١٤- إدجار موران: أزمة المعرفة عندما يفتقر الغرب إلى فن العيش، ترجمة: جاد مقدسي، مجلة الاستغراب، بيروت، ٢٠١٥م، ص ٥٤.

١٥- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة: أحمد القصور، ومنير الحجوجي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ١٣.

١٦- فواد زكريا: نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٨م، ص ١٧.

د/ محمود إبراهيم محمد عبد القادر

الملتبسة للانتقال من الرؤية التي تعتبر أن الأرض هي مركز الكون ظهر أول تعارض: فأصحاب مركزية الأرض يرفضون المعطيات غير القابلة للتفسير استنادا إلى تصورهم ويعتبرونها غير دالة، في حين يستند الآخرون إلى هذه المعطيات من أجل النسق المتمركز على الشمس، فالنسق الجديد يشتمل على نفس مكونات النسق القديم، ولكن رؤية العالم تغيرت، فتبدل الأرض بالشمس كان أكثر من مجرد تبديل بسيط لأنه حول المركز (الأرض) إلى عنصر هامشي والعنصر الهامشي (الشمس) إلى مركز (١٧)، وبالتالي فوجود العالم الخارجي في حاجة إلى مجموعة من الاستدلالات المنطقية التي تثبت هذا الوجود، والتي يتمكن بها الذهن من تفسيره (١٨).

إن المعرفة يجب أن تُبنى في إطار السياق الخاص بها، ومن ثم يجب تجميع ما يعرفه الباحث عن العالم، فالحقائق المفردة لا يمكن أن تفهم إلا بواسطة أولئك الذين يحافظون على ذكائهم العام وينمونهم، ويحشدون معارفهم الكلية، على الرغم من استحالة معرفة كل شيء في العالم، أو فهم تحولاته العديدة والمتنوعة، إلا أنه يجب فهم مشكلات العالم الأساسية؛ لأن معرفة العالم ضرورية للإشباع الفكري وللحياة ذاتها (١٩).

ثم يذهب موران إلى أننا نحيا تحت سلطان مبادئ الفصل والاختزال والتجريد التي تشكل في مجموعها ما نسميه بمنظومة التبسيط، فلقد صاغ ديكرت هذه المنظومة المسيطرة على الغرب عن طريق الفصل بين الذات المفكرة والشيء الممتد، وكذلك عن طريق وضع الأفكار الواضحة والتمتيز كمبدأ للحقيقة، ولا شك أن هذه المنظومة سمحت بحدوث تقدم كبير على صعيد المعرفة العلمية والفكر الفلسفي، غير أن عدم التواصل بين المعرفة العلمية والفكر الفلسفي سيقبل من إمكانية التوصل للمعرفة والتفكير فيها، بل والفصل بين المجالات الكبرى للمعرفة، وكانت الطريقة الوحيدة لتدارك هذا الفصل هي اختزال المركب في البسيط، وقد قامت النزعة التخصصية بتقطيع النسيج المركب إلي وقائع، ودفعتنا إلى الاعتقاد بأن

١٧- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ١٤.

١٨- فواد زكريا: نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان، سبق ذكره، ص ٨٣.

١٩- إدجار موران: طريقة جديدة في التفكير، مركز مطبوعات اليونسكو، مجلة رسالة اليونسكو، العدد ٤٩، ١٩٩٦م، ص ١٠.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

التقطيع الذي أُجري على الواقع هو الواقع نفسه، في الوقت ذاته كشفت المعرفة العلمية الكلاسيكية عن التعقيد الظاهري للظواهر (٢٠).

ولقد أسست هذه المعرفة بصرامتها وإجراءاتها على القياس والحساب، لكن بدأت النزعة الرياضية والصورية تنفصل شيئاً فشيئاً عن الكائنات والموجودات، بحيث لم تعد وقائع سوى الصيغ والمعادلات التي تحكم الكيانات، فالفكر البسيط غير قادر على الوصل بين الواحد والمتعدد، فإما أنه يوجد بشكل مجرد من خلال إلغاء التنوع، أو على العكس من ذلك يضع العناصر المتنوعة جنباً إلى جنب دون تمثل الوحدة، هكذا نصل إلى العقل الأعمى الذي يدمر المجموعات والكليات، ويعزل كل موضوعاتها عن بيئتها، لكن ليس باستطاعة العقل الأعمى أن يتمثل الرابط غير القابل للقطع بين الملاحظ والشيء الملاحظ؛ لأن الوقائع الأساسية متفرقة، والمنهجية المهيمنة تنتج ظلاماً متفاقماً ما دام لم يعد هناك أي تجميع لعناصر المعرفة المنفصلة، ولا أي إمكانية لتخزينها والتفكير فيها (٢١).

إن المعرفة الحقة ترتبط ببنية الثقافة في كل جوانبها، وبالنتظيم والممارسة؛ لأنها غير مشروطة ولا محددة، فهي التي تطرح شروطها وتحدياتها وإنتاجاتها، وهذا يظهر في المعرفة العلمية، فالمعرفة دائماً ما تنتقل من خلال العقول الفردية التي تتمتع باستقلالية لتعمل على تحول المجتمع إلى أفضل حالة ممكنة (٢٢).

إننا نقترّب من تحول خارق في المعرفة، فهي لم تعد توضع تدريجياً من أجل أن يتم التفكير فيها ومناقشتها من طرف العقول البشرية، بل أصبحت توضع من أجل أن يتم تخزينها في ذاكرات معلوماتية والتلاعب بها من طرف قوى مجهولة؛ وذلك لأن العلماء لا يتحكمون في نتائج اكتشافاتهم ولا يراقبونهم، فالمشكلات الإنسانية لا تسلم فقط إلى هذه الظلمية العلمية التي تنتج متخصصين جهلاء، بل تسلم كذلك إلى مذاهب تدعي اختكار العلمية وإلى أفكار أساسية، وهكذا فإن الرؤية المشوهة والأحادية البعد لها نتائج خطيرة على

٢٠- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ١٥.

٢١- المرجع السابق: ص ١٦.

٢٢- إدجار موران: المنهج الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها، الجزء الرابع، سبق ذكره، ص ٣٥-٣٦.

مستوى الظواهر الإنسانية، فالعجز عن فهم الواقع الاجتماعي في بعده المصغر (الكائن الفردي) وفي بعده المكبر (كل البشر) يؤدي إلى مأسٍ لا نهائية (٢٣).

ثم يعتقد موران أن تنظيم المعرفة يحتاج إلى دراسة نظرية السيبرنطيقا* ونظرية الأنساق المعلومة* بكيفية موازية ومترابطة، فمثلاً انتقلت البيولوجيا من النزعة العضوية إلى النزعة التنظيمية، وتوصل بياجيه إلى مفهوم التنظيم كمفهوم مركزي للبيولوجيا، أما فرانسوا جاكوب فيرى أن النظرية العامة للتنظيمات لم توضع بعد، وإنما ينبغي تشييدها، فلم يصبح التنظيم بعد مفهوماً دقيقاً، ويمكن بناء هذه المقولة انطلاقاً من عمليتي تعقيد النزعة النسقية وتحقيقتها، ويبدو أن هذا التطوير لم تصل إليه بعد نظرية الأنساق (٢٤)، فلقد كان لدي بياجيه شعوراً عميقاً بأن شروط المعرفة بما فيها المعطيات القبلية والمقولات تصدر عن المبادئ الأساسية للتنظيم الحي، وكان يسعى إلى تصور التقابلية البنوية القائمة بين التنظيمات البيولوجية والمعرفية (٢٥).

فالنزعة التنظيمية تحاول الكشف عن تشابهات ظاهرية، والعثور على مبادئ التنظيم المشتركة وتطورها وخصائص تنوعها، وحينها يحتمل أن يصبح للتشابهات الظاهرية معنى، لكن مهما بلغت درجة التعارض بين النزعة التنظيمية والنزعة العضوية، يظل هناك أساس مشترك بينهما، ذلك أن الوعي السيبرنطريقي لم يعد يتنافى مع المماثلة، أما النزعة العضوية فتنتقل من الجهاز العضوي الذي يتم تمثله ككلية منظمة بشكل منسجم، وهي تجعل من الجهاز العضوي نموذجاً للمجتمع البشري، وتفترض تنظيمياً مركباً، كذلك يمكن اعتبار الجهاز العضوي بمثابة آلة، لكن من نمط يختلف عن نمط الآلات الصناعية (٢٦).

وعليه فالمعارف الجديدة ليس لها معنى ما دامت منفصلة عن بعضها؛ لأن الوجود كلي ومركب مادي وحيوي؛ حيث الحياة انبثاق عن تاريخ الأرض والإنسان انبثاق عن تاريخ الحياة الأرضية، ولا يمكن تصور العلاقة بين الإنسان والطبيعة بطريقة اختزالية ولا بطريقة

٢٣- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ص ١٦- ١٧.

* هي الدراسة العلمية لكيفية تحكم الإنسان أو الحيوان أو الآلات في بعضها البعض.

* هي وحدة اجتماعية تؤدي وظيفة ضمن شبكة معقدة، بهدف تحقيق التكافل والاستقرار في المجتمع.

٢٤- المرجع السابق: ص ٣٠.

٢٥- إدجار موران: المنهج معرفة المعرفة: أنثربولوجيا المعرفة، الجزء الثالث، سبق ذكره، ص ص ٥٨.

٢٦- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ص ٣٠-٣٢.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

منفصلة، فالإنسان كائن طبيعي وفوق طبيعي معاً، وينبغي أن يكون مصدره من الطبيعة الحية والفيزيقية، لكنه يتميز عنها بالفكر والوعي، فالأفكار الوظيفية التي تفكك كل ما هو شمولي تجهل طبيعة المركب، غير أنه ينبغي الجمع بين عناصر الشمول في تنظيم مركب، ووضع هذا الشمول نفسه في سياق، فإصلاح الفكر ضروري لإصلاح السياق والمركب(٢٧).

إذن ثمة ضرورة لفكر يربط بين ما هو مفكك ومقسم، ويراعي التنوع مع الإقرار بالوحدة، فكر متعدد الأبعاد، فكر منظم ونسقي يتصور العلاقة بين الكل والأجزاء، فكر لا يعزل الموضوع المراد بالدراسة، بل ينظر إليه من خلال علاقته الذاتية والبيئية والتنظيمية، فكر يتصور بيئة وجدل العمل، ويكون قادراً على الإتيان بإستراتيجية تسمح بالتعديل من العمل المباشر، بل وتسمح بالغائه، فكر يعترف بالاكتمال(٢٨)، وعليه فالذهن البشري يفتح على العالم، ويتضح هذا الانفتاح من خلال حب الاستطلاع، والتساؤل، والاستكشاف، والبحث، وحب المعرفة، فالانفتاح يحدث على كافة الانطلاقات، فيشعر الذهن البشري بأنه ينتمي إلى هذا العالم من جانب، وبأنه غريب عنه من جانب آخر(٢٩).

إن الضرورة تدعو إلى مواجهة المشكلات التي تنطوي على لا يقينيات وعلى غير المتوقع، فالخاص يصبح مجرداً عندما يتم عزله عن الكل الذي يدخل في تكوينه، والشمولي يصبح مجرداً عندما لا يكون سوى كل منفصل عن أجزائه، أما فكر المركب فهو يحيلنا على الدوام من الجزء إلى الكل، ومن الكل إلى الجزء، والصيغة المركبة تعني أن تفكر شمولياً ونفعل محلياً، وتفكر محلياً ونفعل شمولياً، فبالفكر لم يعد هناك تعارض بين الشمولي والجزئي، ولا بين العام والخاص؛ لقد أصبح الكلي فردياً، إنه العالم الكوني(٣٠).

وقد رأى كثيرون في ضياع الكلي ضياعاً للعقلانية، فلا يوجد مكانٌ محددٌ للفكر، فهناك فلاسفة ومفكرون، والتفكير نشاط يخدم العلم ويخدم الفلسفة، غير أن العلوم والفلسفات

٢٧- إدجار موران: هل نسير إلى الهاوية؟ ترجمة: عبدالرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٢م، ص ص ٥٨-٥٩.

٢٨- المرجع السابق: ص ٦٠.

٢٩- إدجار موران: النهج إنسانية الإنسان - الهوية البشرية، ترجمة: هناء صبحي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، الإمارات، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص ٥٢.

٣٠- إدجار موران: هل نسير إلى الهاوية؟، سبق ذكره، ص ص ٦٠-٦١.

د/ محمود إبراهيم محمد عبد القادر

محكومة بأن تفكر في الإنسان، وتفكر في الحياة، وتفكر في العالم والواقع، ومن المفترض لهذا التفكير أن يكون له مفعولٌ راجعٌ على العلوم، وأن يوجه الحياة؛ لأن إصلاح الفكر مشكلةٌ إنسانيةٌ وتاريخيةٌ مهمةٌ، ولم يحدث في تاريخ البشرية أن كانت مسئوليات الفكر بهذا النقل الذي صارت إليه اليوم (٣١).

ويعترف موران أن الفكر الذي يجزئ ويقطع ويعزل يُمكن المتخصصين والخبراء من الأداء الجيد، كل في مجاله، ويسمح لهم بإقامة تعاونٍ فعالٍ في قطاعات المعرفة غير المركبة، خاصة تلك القطاعات التي تهتم بعمل الآلات الصناعية، بيد أن المنطق المتحكم في هؤلاء يسقط الإكراهات والآليات غير الإنسانية للآلة الصناعية على المجتمع ويمتد بها إلى العلاقات الإنسانية، كما أن رؤيتهم الحتمية الآلية الكمية الشكلانية تجهل ما هو ذاتي ووجداني وحر وخلاق وتطمسه وتقطع أوصاله، وعدا ذلك فإن الأذهان المجزأة والمقتنة تعمى عن التفاعلات والمفعولات الراجعة، وتعمى عن السببية، ولا نزال نراها كثيراً عندما ننظر إلى الظواهر من حيث سببيتها الخطية، فهي تدرك الوقائع الحية وفق تصور آلي/حتمي لا يصلح لغير الآلات الصناعية (٣٢).

أخيراً يُشير موران إلى أن التنظيم الذاتي هو تنظيم بيئي، والإحالة الذاتية هي الربط بين ما هو ذات وما هو غير ذات، أي البيئة ومحتوياتها، كما توجد في الإحالة الذاتية الخارجية وحدة وتكامل وتعارض بين مبدأ الرغبة (تمركز الأنا) ومبدأ الواقع (الموضوعية)؛ ذلك أن تمركز الأنا من أجل مصلحتها يقتضي الصحة الموضوعية (٣٣)، فالتنظيم الذاتي يعمل من أجل فهم الكائن الحي والوجود؛ لأن الكون في سيرورة، وفي طور التفكك والتنظيم، والحياة ظاهرة مركبة من التنظيم الذاتي في علاقته مع المحيط، حيث إنها هي التي تنتج الاستقلالية، ومن البديهي أن الظواهر الاجتماعية لا يمكن أن تخضع لمبادئ تخص معقولة أقل تعقيداً من تلك المبادئ التي تلزم الظواهر الطبيعية، فيجب علينا أن نواجه

٣١- المرجع السابق: ص ٦١.

٣٢- المرجع السابق: ص ٥٣-٥٤.

٣٣- إدجار موران: المنهج معرفة المعرفة: أنثربولوجيا المعرفة، الجزء الثالث، سبق ذكره، ص ٧٣.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

التعقيد لا أن نحجبه، وهكذا تكمن صعوبة الفكر المركب في أن عليه مواجهة تضامن الظواهر مع بعضها بعضاً، وعدم اتضاح الرؤية واللايقين والتناقض (٣٤).

ويستنتج الباحث أن مشكلة تنظيم المعرفة أحد أهم أفكار الفكر المعاصر، خاصة في ظل التقدم العلمي والتقني الذي يعمل على توسيع نطاق الفكر والمعرفة في كافة المجالات، مما يتطلب عملية مراجعة للمعرفة بشكل مستمر، وكذلك العمل على تنظيمها وفقاً لاحتياجات المجتمعات الإنسانية؛ لأن الإنسان أصبح متقلاً بحمل المعرفة في الوقت الراهن أكثر من أي وقت مضى، فكل معرفة دلالة معينة، بمعنى أن كل معرفة يجب أن توضع في إطار وسياق خاص بها، ثم بعد ذلك يتم تجميع كافة المعارف المفككة والمجزأة في كل متكامل ومركب.

ثالثاً- دور الذات في المعرفة:

إن ذات الإنسان هي انعكاس لكل ما بداخل الأنا، وهي تمثل وجهة صاحبها في الحياة وقدراته وطموحاته، والخبرات التي يمر بها، فهي الطابع الخاص للإنسان، واعتقاد الشخص عن نفسه من حيث إمكاناته وإنجازاته وأهدافه ومواطن قوته وضعفه وعلاقاته بالآخرين ومدى استقلاله واعتماده على نفسه، وهي تتشكل تلقائياً نتيجة لعلاقة الفرد بالمجتمع (٣٥).

أما موران فيُقر بأن الذات والعالم ينبثقان في لحظة واحدة، فتنبثق الذات في اللحظة التي يتم فيها تزويد الموضوع بعدد من السمات الخاصة بالذوات البشرية (الغائية، التواصل)، إنها تنبثق بصفة خاصة من التنظيم الذاتي، حيث تصبح الاستقلالية والفردية والتعقيد واللايقين والغموض سمات خاصة بالموضوع، ومن ثم تفضي المرجعية الذاتية إلى الشعور بالذات، والانعكاسية إلى التفكير، وبالتالي يتم ظهور أنساق تتصف بقدرة عالية على التنظيم الذاتي لدرجة أنها تنتج خاصية تسمى الشعور بالذات (٣٦).

هذا بالإضافة إلى أن الذات تنبثق أيضاً من خلال خواصها الوجودية، كما أكد كيركيجارد وأنها تحمل داخلها فريديتها غير القابلة للاختزال بوصفها كائناً ارتدادياً ومنفتحاً

٣٤- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ص ٣٢-٣٣.

٣٥- محمد رضا زانري: الذات والغير بين المفهوم الكلي والمفاهيم الفرعية، مجلة الاستغراب، ٢٠١٨م، ص ٤٦-٣٤.

٣٦- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ص ٤٠-٤١.

علي نفسه، فلا يمكن للعالم أن يظهر كما هو أي كأفق لنظام حيوي إلا من أجل ذات مفكرة تشكل المرحلة النهائية، وذاتا كهذه لم يتح لها أن تظهر إلا في نهاية صيرورة فيزيائية نشأت عبرها، وبعد مراحل كثيرة، فظاهرة التنظيم الذاتي التي كانت ولا زالت دائماً مقيدة من قبل نسق بيئي أصبحت أكثر اتساعاً، هكذا تظهر الذات والموضوع كانبثاقين نهائيين وغير قابلين للفصل، خاصين بالعلاقة بين النسق المنظم لذاته والنسق البيئي(٣٧)، ففي معرفة الذات يتجمع كل علم، وكل ما هو قابل لأن يُعرف، ومن خلال هذا التجميع تكون الذات بمثابة الوعي، وبالتالي تظهر الإرادة بوصفها ماهية هذه الذات(٣٨).

فالذات تتصل بالطبيعة الإنسانية، لأنه لا إنسان بغير ذات، وهي سابقة على أية تعينات خارجة عنها، بل إن الذات ليست فقط هي الطبيعة الإنسانية، وإنما هي الجهاز الشكلي الذي يُقدم على التوحيد والتوجيه والمتابعة والتمثيل والمسئولية عند الأفراد، ونتيجة لذلك نقول إن الذات لا هي رحيمة ولا هي قاسية بطبيعتها(٣٩)، بل هي خاصيتي، وهي تمتلك كل تجاربي، وهي تستحق الاهتمام ليس فقط بسبب إنجازاتها؛ بل لأننا نستند إلى قدراتها، فهي تجعل الكائن قادراً على أن يقيم أعماله، ثم يقيم بعد ذلك الأهداف(٤٠).

ويُعلن موران هنا أن ثمة اختلاف في الفكر الغربي حول الذات انطلاقاً من الفكرة القائلة: بأن الموضوعات الموجودة بشكل مستقل عن الذات قد يكون بالإمكان وصفها وتفسيرها، فلقد سمحت فكرة وجود عالم من الوقائع الموضوعية الخالية من جميع أحكام القيمة والذاتية بفضل المنهج التجريبي وإجراءات التحقق، بحصول التطور الهائل للعلم المعاصر، وفي هذا الإطار، إما أن تكون الذات هي الضجيج أي التشويش الذي ينبغي إزالته من أجل الوصول إلى المعرفة الموضوعية، أو تكون هي المرأة، أي انعكاس للعالم الموضوعي، فالذات هي ذلك المجهول الغامض الذي يتحدى الوصف؛ لأنها تشكل دعامة

٣٧- المرجع السابق: ص ٤١.

٣٨- مارتن هيدجر: الفلسفة، الهوية والذات، ترجمة: محمد مزيان، تقديم: محمد سبيلا، منشورات ضفاف، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، ص ص ٩٤-٩٥.

٣٩- عزت قرني: الذات ونظرية العقل، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٧٧.

٤٠- بول ريكور: الذات عينها كآخر: ترجمة وتقديم وتعليق: جورج زيناتي، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص ٣٦١.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

أساسيةً وواقعاً نهائياً للزرعة الإنسانية(٤١)، وتمثل وعياً حدسياً وبديهاً، تحته تزوج وحدة الأنا فتنشياً في الذات، غير أن الذات تستند إلى مبدأ الذاتية؛ لأنه لا يستطيع كل وعي للذات أن يتحقق إلا إذا بقي بصورة ما منفصلاً عن عملية التعقل(٤٢).

فالذات ملكةً للكون، بالتالي يذوب العالم الموضوعي داخل الذات التي تفكر فيه، ويعد ديكارته من أهم من أبرز هذه الثنائية في الفكر الغربي المعاصر، طارحاً بالتبادل العالم الموضوعي للشيء الممتد المفتوح على العلم، والكوجيتو الذاتي بوصفه المبدأ الأول للواقع الذي لا يمكن رده ولا اختزاله، ومن ذلك الوقت تُطرح ثنائية الموضوع والذات انطلاقاً من مفاهيم الفصل والدفع والإلغاء المتبادل، ذلك أن الالتقاء بين الذات والموضوع يلغي دائماً أحد هذين اللفظين، فإما أن تصبح الذات ضجيجاً لا معنى له، وإما أن يصبح الموضوع وإلى حد ما العالم تشويشاً أيما كان العالم الموضوعي(٤٣).

وهنا يمكن الربط بين موران وجورج هيربرت ميد* الذي نظر إلى الإنسان بوصفه كائناً عضويًا له ذات، وملكية الإنسان للذات تحوله إلى فاعلٍ مریدٍ وتشكل علاقته بالعالم، وتعطى أفعاله طابعاً مميزاً، فمن خلال الذات يُكون الفرد صورةً عن نفسه وعن الآخرين، وهو يتعامل مع نفسه كموضوع مثلما يتعامل مع الآخرين كموضوعات، وهي تُفهم على أنها عملية انعكاسية بين ذات الفرد والعالم الخارجي، وبمقتضى وجود الذات يعد الإنسان في موقف متناقض مع العالم وليس نتاجاً له، وعليه أن يتعامل مع الواقع ويتعرف عليه وأن يبنى لنفسه نمطاً سلوكياً معيناً بدلاً من مجرد الاستجابة للواقع فقط، فالفاعل هنا ينظم الواقع بطريقته الخاصة لكي يتوصل إلى هذا النمط السلوكي(٤٤)، فتحديد أصل تشكيل الذات، أو العقل، يُكتسب من معارف يتم الحصول عليها من خلال عملية التطور(٤٥).

٤١ - إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ص ٤١-٤٣.

٤٢ - إدجار موران: المنهج معرفة المعرفة: أنثربولوجيا المعرفة، الجزء الثالث، سبق ذكره، ص ص ٢٩٠-٢٩١.

٤٣ - إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ٤٣.

* فيلسوف أمريكي براجماتي ولد ١٨٦٣م، توفى ١٩٣١م، له الكثير من المؤلفات، منها: العقل والذات والمجتمع، وفلسفة الحاضر، وفلسفة الفعل، بالإضافة إلى مقالات كثيرة ومتعددة في معظم محاور الفكر الفلسفي المعاصر.

٤٤ - أحمد زايد: علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨١م، ص ٤٢٤.

45- H. Shauer: Pragmatism The Classic Writings, Hacked publishing company, Cambridge, 1982, p. 337.

وعليه فلا وجود للموضوعات إلا بوجود ذات تلاحظ، تعزل، تعرف، وتفكر، ولا وجود لذات إلا في صلتها بمحيط موضوعي يسمح لها بالتعرف على نفسها وتعريفها والتفكير فيها، وأيضاً بأن توجد، فالذات والموضوع غير قابلين للفصل، لكن نمط تفكيرنا يقصي الواحد بواسطة الآخر، ويتركنا أحراراً في الاختيار بين الذات الميتافيزيقية والموضوع الوضعي، وعندما يبعد العالم عن باله هموم مساره المهني والتغيرات والعداوات المهنية من أجل الانقلاب على موضوعات تجاربه، فإنه يلغي الذات فجأة، إنها تصبح تشويشاً مع كونها مأوى للمعرفة الموضوعية، فإذا كانت الذات تعكس العالم، فالعالم أيضاً يعكس الذات، كما يمكن أن يكون الموضوع مرآة للذات بقدر ما تكون الذات مرآة للموضوع، فالفصل بين الذات والموضوع يجعل من الذات تشويشاً، ويعمل على الفصل بين الحتمية الخاصة وعالم الموضوعات الذي أصبح الميزة الخاصة بالذات (٤٦).

فمعرفة الذات لموضوعها تتم بواسطة ملكة الفهم التي تفرز المقولات أو المبادئ التي هي أشبه بالوعاء الذي تنتظم داخله الأشياء الخارجية المدركة عن طريق الحواس بمساعدة ملكة الحساسية الخالصة التي تُعد وسطاً بين الحواس الخمس التي ندرك بواسطتها الأشياء بطريقة حسية مباشرة، وبين ملكة الفهم أو الذهن الذي يبدي المقولات والمبادئ العقلية التي تنتظم بداخلها إدراكاتنا الحسية عن تلك الأشياء (٤٧).

وبناء عليه هناك ثلاثة أبعاد لامتلاك الذات، البعد الأول: هو قدرة الإنسان على أن ينظر إلى الشيء ويفسره، ويضع له صورةً ومفهوماً خاصاً به، أي أنه بامتلاك الذات يستطيع الإنسان أن يضع كيانات ذات معنى مما يحيط به من الأشياء، والبعد الثاني: أن الذات تمكن الفرد من امتلاك حياة خاصة به يتواصل من خلالها مع نفسه فقط ولا يستطيع أي فرد أن يتدخل فيها، أما البعد الثالث فهو أهمية الذات في تشكيل السلوك الإنساني،

٤٦- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ٤٣-٤٥.
٤٧- مجدي عز الدين سعد حسن: من نظرية المعرفة إلى الهرمنيوطيقا، مجلة آداب النيلين، جامعة النيلين، كلية الآداب، المجلد ١، العدد ٢٣، ٢٠٠١م، ص ١٣١.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

فمعنى امتلاك الذات يعني أن الإنسان يواجه العالم على أساس أنه عضو يتفاعل معه، ويرى أفعاله بمنظور واضح، ويضع الحدود التي تدور فيها هذه الأفعال (٤٨).

ويستنتج موران أن الذات هي المجهول؛ لأنها غير محددة وكلية، بناءً عليه لا يوجد بدونها شيء، بل كل شيء يقتضيها، إنها دعامة كل حقيقة، فبواسطة الميكروفيزياء أصبحت الذات والموضوع متعالمين، لكنهما يظلان غير ملائمين لبعضهما بعضاً، وبواسطة السيبرنطيقا ومفهوم التنظيم الذاتي ننفلت من الفصل، ومن إلغاء الذات والموضوع ما دمنا قد انطلقنا من مفهوم النسق المفتوح (٤٩)، غير أن هذه الذات هي ذات عاقلة، تتأمل الكون الأصغر الحقيقي (الإنسان)، وتتأفر وتتأغم مع الكون الأكبر (المجتمع) (٥٠).

فإذا ما انطلقت من النسق المنظم في علاقته مع محيطه وصعدت في سلم التعقيد، فإنني أصل إلى ذات مفكرة ليست سوى أنا نفسي، وبشكل معاكس، إذا ما انطلقت من هذه الذات المفكرة من أجل العثور على أصلها، فإنني أعر على مجتمعي وعلى تاريخ تطور البشرية وعلى الإنسان المنظم لذاته في علاقته مع محيطه، وبناءً على ما تقدم، يوجد العالم داخل فكرنا، وفكرنا داخل العالم، فالذات والموضوع في هذه المواجهة متعالمان، ومتداخلان مع بعضهما بعضاً (٥١)، وعليه فالذاتية تعني مركزية الذات الإنسانية وحريتها وفاعليتها على جميع المستويات، وهي تتضمن الفردانية، والحق في النقد، واستقلالية الفعل، والفلسفة التأملية، وهي تنتج فصلاً وترابطاً بين الذات الإنسانية والعالم (٥٢).

وهكذا فالذات تحول الموجود الإنساني إلى كائن متميز، حيث تتبدل علاقته بالعالم، ويُمنح فعله طابعاً فريداً؛ لأنه موضوع لذاته، يدركها ويتصورها ويتواصل معها، وهذه الأنماط تمنحه القدرة على التفاعل مع ذاته، ومخاطبتها، وأن يضع ذاته في موقف الفعل بدلاً من أن

48- Duford Rhea: The Future of the sociological classics, geogellen and unwin: London; 1981, pp. 141 – 143.

٤٩- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ٤٥.

50-T.V. Smith: The Social philosophy of G. H., Mead: American Journal of Sociology: vol. 37, Issue 3; 1931, p. 368.

٥١- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ٤٥ - ٤٦.

٥٢- علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحدائثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، منشورات ضفاف، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، ص ١٠٩.

د/ محمود إبراهيم محمد عبد القادر

تكون رد فعل (٥٣)، ويصبح له من القوة والعمق والتركيب ما يجعل له هوية، ويوجه عمله استراتيجياً في ضوء عوامل معينة بما فيها رغباته وقدراته التي تتطلب نوعاً من الوعي الانعكاسي التأملي (٥٤).

الانسجام والانفتاح الإستمولوجي:

يُوضح موران أن الجهد النظري الذي نخرط فيه يؤدي إلى العلاقة بين الذات والموضوع، وإلى العلاقة بين العارف وموضوع معرفته، ذلك أنه (أي الباحث) بحمله بشكلٍ محايدٍ مبدأً اللايقين والإحالة الذاتية، فإنه يحمل مبدأً تفكيرٍ ونقد ذاتي، وبالتالي يحمل داخله المعنى الإستمولوجي الخاص، فالإستمولوجيا في حاجة إلى إيجاد وجهة نظر تكون قادرة على فحص معرفتنا الخاصة كموضوع للمعرفة، كما هو الشأن في الحالة التي تتشكل فيها لغة واصفة من أجل تمثل اللغة التي أصبحت موضوعاً (٥٥).

كما تستند الإستمولوجيا إلى المنهج النقدي بهدف اكتشاف الحقائق التي تُكون العلم، وذلك من خلال المعلومات المختلفة التي يقدمها تاريخ العلم للإستمولوجيا (٥٦)، فنحن لا نكتسب المعرفة إلا بقدر ما نطور أفكارنا بطريقة تمكننا من اختبار توافقها مع الواقع وإثباته، وعندئذ نستطيع أن نزعم المعرفة؛ لأنها مجموع تصوراتنا وأرائنا وقضايانا التي اختبرت كانعكاسات صحيحة للواقع الموضوعي (٥٧).

غير أن التحول الإستمولوجي الذي أحدثه ديكرت قام على خطوتين: الأولى هي النظر إلى العقل على أنه عالمٌ داخليٌّ يعرفه كل واحد منا بيقين، ويملك مدخلاً خاصاً إليه،

53 -Herbert Blumar: Sociological implications of the thought of G. H. Mead.

American Journal of sociology: v. 71, Issue 5: 1966, pp. 535 – 536.

٥٤- تشارلز تايلر: منابع الذات تكون الهوية الحديثة، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص ٧٩.

٥٥- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ٤٦ - ٤٧.

٥٦- روبير بلانشيه: نظرية المعرفة العلمية، ترجمة: حسن عبدالحميد، تقديم: محمود فهمي زيدان، مطبوعات الجامعة، ١٩٨٦م، ص ٧١.

٥٧- موريس كورنفورث: مدخل إلى المادية الجدلية، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، الجزء الثالث (نظرية المعرفة)، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، ص ١٧٢.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

والثانية هي تقديم الشك المنهجي كأداة إبستمولوجية من أجل الوصول إلى اعتقادات يقينية، وهذه الاعتقادات اليقينية هي الأسس المثبتة التي يقوم عليها بناء المعرفة (٥٨).

وعليه فوجهة النظر الإبستمولوجية تسمح لنا بأن نراقب، ننتقد، ونتجاوز أفكارنا، وتضعنا داخل النسق البيئي الطبيعي، وتحثنا على معالجة الخصائص البيولوجية للمعرفة، أي بيولوجيا معرفة الأشكال الدماغية القبلية المكونة للمعرفة الإنسانية، إضافة إلى أنماطها في التعلم بواسطة التماثل مع المحيط، وتضعنا أيضا داخل نسقنا البيئي الاجتماعي وتنتج بدورها التحديدات والتكيفات الإبيولوجية لمعرفتنا، وتسمح للنسق البيئي الاجتماعي بوضع مسافة بيننا وبين أنفسنا، وبأن ننظر إلى أنفسنا من الخارج، أي الاعتراف بذاتيتنا (٥٩).

وهكذا فإن وحدة الذات تتطلب تنظيم الاتجاهات المشتركة بين الأفراد في المجموعة الواحدة التي ينتمي إليها الفرد، فأى عملية اجتماعية تتطوي على مجموعة من الأشخاص تمثل وحدة المبادئ الأولى للذات، فالفرد في اتجاهاته داخل المجموعة يخاطب الكائن العضوي، وهذا الخطاب يخلق الذات والوعي بها، فنحن عادة نحاول أن ننظر إلى أنفسنا كما يرانا الآخرون، على الرغم من أننا ربما لا نرى أنفسنا بطريقة دقيقة كما يرانا الآخرون، إن الفرد دائماً وأبداً يعتمد على المجتمع في نظريته لذاته (٦٠)، غير أن الجهد النظري غير كافٍ، إذ يوجد بين النسق الدماغى البشري ومحيطه هوة من اللاتيقين لا يمكن ردمها، ففي الواقع تُظهر لنا بيولوجيا المعرفة أن هناك لا يقين حول خاصية معرفة العالم الخارجى، على الرغم من أن هذه الأخيرة مدرجة داخل أطر التنظيم (٦١).

وهنا يمكن القول إن معرفتنا بالحقائق المادية هي شيء مسلم به في حدود تلك المعرفة وبدون الحاجة إلى تجارب أو معارف خارج نطاق معرفتنا، وهذا الوضع لا يتطلب أي فصل بين معرفة الذات وأية معرفة خارجية أخرى إنها معرفة ذاتية تتبع من الذات نفسها ولا ترتبط بأي مصدر خارجي للمعرفة، وبناءً على ذلك فإنه لدينا نوعان من المعرفة: النوع

٥٨- صلاح إسماعيل: البراجماتية الجديدة فلسفة ريتشارد رورتي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص ١٢٩.

٥٩- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ٤٧.

60 - David L. Miller: The individual and social self: the university of Chicago press; London and Chicago, 1982, p. 163.

٦١- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ٤٧.

د/ محمود إبراهيم محمد عبد القادر

الأول هو المعرفة المرتبطة بالعالم المجرّد المحسوس، والنوع الآخر معرفة بديهية خاصة بالحاسة الإنسانية أو بالذات نفسها، وهي التي تشكل الأنماط المختلفة للشخصيات التي تتخذها ذاتنا (٦٢).

وعلى هذا فإن تحديد المعرفة يتحول إلى توسيع معناها الإبيستمولوجي والنظري الكامل، فيجري كل تقدم للمعرفة بالضرورة، كما أشار إلى ذلك توماس كون، بواسطة كسر وقطع الأنساق المغلقة التي لا تتوفر داخلها القدرة على المجاوزة، وبطبيعة الحال، تحمل نظرية التنظيم الذاتي في داخلها مبدأ وإمكانية لإبيستمولوجيا تؤكد وتعمق مظهرها الأساسيين، وهما الانفتاح، والانعكاس على الذات، كما يمكننا إعطاء معنى إبستيميا لتصورنا المفتوح للعلاقة بين الذات والموضوع التي تشير إلى وجوب تمثّل الموضوع داخل نسقه البيئي، وبشكل أكثر اتساعاً داخل عالم مفتوح، داخل ميتانسق، وبالتالي داخل نظرية ينبغي وضعها حيث يكون بالإمكان دمج الذات والموضوع، فالذات لا تأخذ معناها إلا داخل نسق بيئي طبيعي، اجتماعي، ينبغي دمجها داخل ميتانسق (٦٣).

ويستنتج الباحث أن الذات تمثّل تقدماً ملحوظاً في عالم المعرفة الإنسانية، لأنها بناء مرتبط بالعالم وتفسيره، تتميز بالطابع الإبداعي والانعكاسي، فبالذات نفهم السمات الإنسانية كالقدرة على التفكير في المجردات، وكذلك نستطيع وضع تفسيرات للظواهر الطبيعية وفهمها، كذلك فإننا ندرك ونقيم الذات من خلال التفاعل مع الآخرين، ومن هنا فإنها تحصل على القيم الضرورية التي نرغب أن نطورها؛ لأن الذات هي نتاج لخبرات الإنسان التي مر بها، وهي الجهاز الشكلي الذي يُقدم على التوجيه والمتابعة والمسئولية عند كل فرد، وهي وعاء كل التجارب التي مر بها الإنسان بسبب استنادها إلى قدراتها وإمكاناتها، وبامتلاك الذات يتحول الفرد إلى كائن فاعل مرید وبها يشكل علاقته بالعالم؛ لأنها مصدر كل معرفة وحقيقة، ومن هنا فهي عنصر مهمّ وفاعل في دراسة نظرية المعرفة بل ومحور رئيسي.

رابعاً- المعرفة والزمان:

62 - G. H. Mead: New criticism of Hegelianism is it valid? American journal of Theology; vol. 5, 1901, pp. 88 – 92.

٦٣- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ٤٩.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

إن الفلسفة بوصفها فرعاً معرفياً تقيم علاقات شديدة الخصوصية مع الزمان؛ لأن كل المعارف لها تاريخ (زمان)، والفلسفة تقيم علاقات خاصة مع تاريخها ذاته، فهي لا تستطيع أن تتفك عن ماضيها، والفلاسفة بصفة عامة مهتمون بصياغة رؤية عامة للحياة والمجتمع عبر مراحل تطور الفكر الفلسفي (٦٤).

فدراسة تاريخ الجنس البشري تُبين عمق مشكلة الزمان وأثرها على حياة الإنسان ومعارفه، فمنذ أن بدأ الإنسان بالتفلسف اتخذ من تعاقب حركات الأرض وتغير فصولها مقياساً لتغيرات حياته اليومية، ودفعه ذلك للاعتقاد بأن الزمان عبارة عن عجلة دوارة لا تلبث أن تعود مرة أخرى بعد انتهاء دورتها (٦٥)، فأشكال الزمان قائم في طبيعة الزمان نفسه من حيث إنه دائم السيلان، ذلك أن الأجزاء التي يتألف منها الزمان أحدها كان ولم يعد بعد موجوداً، والثاني لم يأت بعد، والثالث لا يمكن الإمساك به (٦٦)، فدراسة الزمان تبدو من الأهمية بحيث يُطرح السؤال لماذا نقوم بالبحث حول الزمان؟ والإجابة تكمن في المحاولة الجادة لفهم طبيعة الزمان؛ لأن معرفته تجيب على الكثير من التساؤلات المعرفية والطبيعية والميتافيزيقية (٦٧).

ثم إن أبعاد الزمان ثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، أما الحاضر فيقول عنه هيجل إنه يحمل في طياته المستقبل؛ وهو أيضاً نتيجة الماضي، وصادر عنه، كما سيصدر عنه المستقبل أو الحاضر التالي، ولهذا يعد الحاضر أهم لحظات الزمان فيقول "في وسع المرء أن يقول عن الزمان بالمعنى الإيجابي، إن الحاضر هو وحده الموجود لكن الحاضر العيني هو نتيجة الماضي وحامل المستقبل والحاضر الحقيقي هو الأبدية" (٦٨).

٦٤ - مجموعة من المؤلفين: أي فلسفة للقرن الحادي والعشرين؟ أورانغتون القرن الجديد، ترجمة: أنطوان سيف، مراجعة: الحسين الزاوي، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص ٢٦٢.

٦٥ - أحمد دعدوش: مشكلة الزمن من الفلسفة إلى العلم، دار ناشري للنشر الإلكتروني، ٢٠١١م، ص ٥.

٦٦ - عبدالرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، ص ٥٥٥.

67 - Robert Disalle : Understanding Space – Time , U. S. A, Cambridge University press , First published , 2006 , p., 1.

٦٨ - عبد الرحمن بدوي: الزمان الوجودي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٥م، ص ١٨.

وعليه فالزمن شرط قبلي لجميع المظاهر مهما كان نوعها، فهو مباشر مع الظواهر الداخلية كافة، ومتوسط مع الظواهر الخارجية كافة، وهذا هو السبب في أن خطاب الاستطيقا يدور حول الافتراض القبلي، لا حول التجربة المعيشة، فالزمن صورة لعياننا الداخلي، وإذا جردنا عياننا الداخلي من الشرط الخاص بالقوة الحساسة لدينا سيختفي مفهوم الزمن أيضاً، فهو لا يحل في الأشياء الموضوعية، بل يحل في الذوات التي تعانينا (٦٩).

أما موران فيرى أن استشراف المستقبل الذي ساد في الستينات يجعل الماضي معلوماً علماً يقينياً، والحاضر بطبيعة الحال معلوم، وأن أساس مجتمعاتنا ثابت، وأن المستقبل سيبنى على هذه الأسس بفضل تنمية التوجهات المهيمنة للاقتصاد، والتكنولوجيا، والعلم، وهكذا اعتقد الفكر التقنو-بيروقراطي أن بإمكانه التنبؤ بالمستقبل، بل اعتقد أن القرن الواحد والعشرين سيقطف الثمار الناضجة لتقدم الإنسانية، إلا أن المشتغلين باستشراف المستقبل شيدوا مستقبلاً خيالياً انطلاقاً من حاضرٍ مجرد، فالحاضر بالنسبة لهم حل محل المستقبل، والأدوات الفضة، والمبتورة التي كانت تساعدهم على إدراك الواقع وتصوره أعمت بصيرتهم عن رؤية ما ليس متوقعا، بل وعن رؤية ما هو متوقع، وهنا يجب من أجل تصور دقيق للصيرورة التاريخية، أن يحل تصورا مركبا محل التصور البسيط السائد، فالتصور البسيط يعتقد أن الماضي والحاضر معلومان، وأن عوامل التطور معلومة، وأن مبدأ العلية مبدأ خطي، والمستقبل يمكن انطلاقاً من ذلك التنبؤ به (٧٠).

والواقع أن هناك دائماً عملية تفاعل تبادلي بين الماضي والحاضر، حيث إن الماضي لن يسهم في معرفة الحاضر فحسب، وهو أمر بديهي، بل إن تجارب الحاضر تسهم في معرفة الماضي، ومن هنا تعمل على تغييره، فالماضي يُشيد انطلاقاً من الحاضر، الذي ينتقي ما يبدو في نظره تاريخياً، أي بضبط ما تطور في الماضي ليسهم في إنتاج أو صناعة الحاضر، فالنظرة الاستراتيجية تقوم باستمرار بمهمة استشرافية: وهكذا يكتسب الماضي معناه انطلاقاً من النظرة البعدية التي تمنحه معنى التاريخ، وذلك هو مصدر التبرير

٦٩- بول ريكور: الزمان والسرد الزمان المروي، ترجمة: سعيد الغانمي، مراجعة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص ٦٩.
٧٠- إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ص ٩-١٠.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

الدائم واللاشعوري الذي يدرج الصدف تحت غطاء الضرورات، ويحول اللامتوقع إلى أمر قابل للوقوع، ويقضي على الممكن الذي لم يتحقق لصالح حتمية حصول ما حدث (٧١).

فالحاضر على سعيد التجربة المعاشة يختلف تماماً، إذ يصبح للحاضر قوام خاص نعيشه في ما نسميه وعي الزمان، فزمان التجربة ليس مجرد تراكم للحظات متلاحقة، بل هو تيار زمني، أو الوجه الزمني لتيارية الوعي، فالحاضر يقوم كوحدة شعورية تنساب في بعدين أو اتجاهين مختلفين: بُعد يتجه نحو الماضي في عودة قصيرة الأمد ندعوها الحفظ، ويُعد يتجه نحو المستقبل في قفزة، بدورها قصيرة الأمد نسميها الأطلال (٧٢).

وعليه فما دام الحاضر يتغير، والتجارب تتعاقب، فيجب إعادة تعديل صورة الماضي الذي لن تتم باستمرار إعادة كتابته من خلال القرن التاسع عشر فحسب، بل أيضاً في القرن العشرين من خلال تجارب متعددة، وهكذا نكتشف ثغرة في الماضي، تقابلها ثغرة في الحاضر، فمعرفة الحاضر تستوجب معرفة الماضي التي تستوجب بدورها ضرورة معرفة الحاضر، ومن الوهم الاعتقاد بأننا نملك معرفة عن الحاضر؛ لأننا موجودون فيه، فالجهد المبذول يتمثل في صعوبة تحديد معالم الحاضر (٧٣)، غير أن قبول الحاضر واللاحق به يجعل ثقافة العالم في صيرورة تسمح للإنسان بقبول طبيعته الانتقالية والتطورية لا بعيشها فقط، وتقدم تعاقبا للحظات حاضرة، وهي تسهم في هذه النزعة الجديدة التي تسمى المعاصرة التي تجعل الحاضر الإطار المرجعي المطلق، وبالتالي فهي تجزئ الزمان (٧٤).

ويصل موران إلى أن المستقبل يتولد من الحاضر، معنى ذلك أن الصعوبة الأولى للتفكير في المستقبل هي صعوبة التفكير في الحاضر، والجهل بالحاضر هو الذي يجعلنا بالفعل لا نبصر المستقبل، وهكذا فمعرفة الحاضر ضرورية لكل عمل يريد توقع المستقبل واستشرافه، لكن قد لا يكفي التفكير في الحاضر بشكل صحيح لكي نكون قادرين على استشراف المستقبل، وهكذا فمن المؤكد أن حالة العالم الحاضر تتضمن حالات عالم

٧١- المرجع السابق: ص ص ١٠-١١.

٧٢- أنطوان خوري: مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، ص ٥٦.

٧٣- إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ص ١١-١٢.

٧٤- إدجار موران: روح الزمان- العصاب، ترجمة: أنطون حمصي، وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥ ص ٢٠٢.

المستقبل، فمن جهة نجد أن الإبداعات والابتكارات والاختراعات القادمة تتوقف على شروط موجودة سابقاً، إذن هي موجودة في الحاضر، غير أن الجزء الحاسم من المستقبل لم يأخذ بعد شكله في تربة الحاضر، فالمستقبل قبل أن يأتي يكون موجوداً هنا في الوقت نفسه الذي لا يكون فيه هنا، إن المستقبل خليطٌ من الأمور المتوقعة وغير المتوقعة (٧٥).

وعليه فالحقيقة توجد في الحاضر، لأنه يتضمن الماضي والمستقبل ويتنوع من حيث الشكل الزمني، فقد يتواجد الحاضر على أنه صورة كاملة للحقيقة الزمنية، وقد يبدو وكأنه يترك لنا مساحة لكي نتخلص من الماضي والمستقبل، ولكننا في جميع الأحوال لا نستطيع أن ننظر إلى الطبيعة الأساسية للحاضر والوجود على أنها أمرٌ قد يختفي؛ لأن ما يميز الحاضر هو أنه سوف يكون موجوداً ثم يختفي؛ لأن العالم عبارة عن أحداث متلاحقة تتضمن الوجود وعدم الوجود (٧٦)، كما أن كل شيء حقيقي لا بد أن يكون في حاضر أو في علاقة بحاضر، فالحاضر هو محل الواقع، وبالنسبة لأي حاضر يجب أن نسأل ما مكانة ماضيه؟ لأن أي ماضي هو بالأحرى المحدد العلى الذي يجعل من الممكن حدوث حاضر، ويكون شرطاً محدداً له، حيث يفرض عليه العلاقات التي لا بد أن تستمر (٧٧).

فكل ما هو مميز وبارز يحكمه كل ما هو مرتبط بالحاضر، لكن هذا لا يعني أن الماضي والمستقبل مصطلحات غير ذات معنى، فالماضي والمستقبل موجودان بالفعل لكنهما لا يكتسبان معنى إلا من خلال ارتباطهما بالحاضر (٧٨)، فشكل الماضي يتضح في التركيب المعرفي للحاضر، ووظيفة الماضي هي وظيفة زمنية تؤدي إلى الحاضر، وبالتالي تقوم بتوضيحه، فالماضي هو الوحيد الذي يجب أن نحافظ عليه؛ لأنه قائمٌ على معرفتنا، ويستمد حدائته من الحاضر (٧٩).

٧٥- إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ص ١٢-١٣.

76 -G. H. Mead: The philosophy of The present, edited by, Arthur Emurphy, lasalle, Iinois, open caut, 1932, p. 1.

77 -Jossep L. Blau: New and Movements in american philosophy New York, pretice, Hell, Ince, 1952, pp. 269 – 270.

78 - : David L. Miller G. H. MeadesConcetion of present, philosophy of science, vol. 10, No. I, 1993, p. 40.

79 - Alfred Tonness: Anotation on The problem of the past with especial reference to G. H. Mead, the Journal of philosophy, vol., 29, Issue 22, 1932, p. 599.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

ويؤكد موران أنه ينبغي أن نضيف أن المستقبل ضروري لمعرفة الحاضر، وهو الذي سيقوم بالانتقاء داخل الأفعال، والتفاعلات التي تشكل الحاضر، وسيكشف لنا العوامل الحقيقية الفاعلة في المستقبل، وعلى ضوء المستقبل الذي أصبح حاضرا، وجعل من الحاضر ماضيا، يتواري الفاعلون الأساسيون في الحاضر تحت الظل، ويصبحون ممثلين من الدرجة الثانية، في حين يخرج الفاعلون الحقيقيون من الظل لكي يؤدي دورهم في لعبة الزمان، وهكذا فمعرفة الحاضر ضرورية لمعرفة المستقبل، وهذه الأخيرة ذاتها ضرورية لمعرفة الحاضر، ويترتب على ذلك أن المعرفة المتعلقة بالماضي والحاضر هي معرفة تتخللها ثغرات، مثلها مثل المعرفة المتعلقة بالمستقبل، وأن هذه المعرفة مترابطة فيما بينها: فمعرفة الماضي خاضعة للحاضر، الذي تكون المعرفة به خاضعة للمستقبل (٨٠).

وهنا نلاحظ ثمة اتفاق بين موران وهيدجر الذي يؤكد بصفة خاصة أهمية المستقبل؛ لأنه يلاحظ أننا نعمل دائما من أجل ما لم يوجد بعد، ولكنه لا يقتصر على القول بإننا نعدو دائما أمام ذواتنا، بل يقرر أيضاً أننا كثيراً ما نجرى خلف ذواتنا، معنى هذا أننا لا بد أن نعود دائما إلى الوراء قليلاً لكي نتقبل ماضينا، ونأخذه على عاتقنا، وهذا العود المستمر إلى الماضي لا يكاد ينفصل عن حركتنا الدائبة نحو المستقبل (٨١).

ثم ينتقد موران التصور الذي يلغي كل محاولة لتوقع المستقبل واستشرافه، وبالتالي يكشف عن ضعف علم استشراف المستقبل وعلم المستقبليات اللذين يدعيان ارتكازهما على أساس الحاضر، إنه بالتأكيد يجعلنا نتخلى عن كل تصور يقين للمستقبل، ويدعونا للقيام بجهد يعمل على إحداث تواصل متبادل بين ماضينا، وحاضرنا، ومستقبلنا، بكيفية تجعلنا نؤسس حلقة تُؤلد معرفة أكثر وضوحا عن الحاضر وإسقاطات غير يقينية بما فيه الكفاية عن المستقبل، ولهذا الغرض تتوفر لدينا أداة ربط تكمن في معرفة مبادئ الأمر الذي يجعلنا ننقل من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى المستقبل، أي تسمح بتصور التطور التاريخي (٨٢)، فالحاضر ينبثق من المستقبل شأنه شأن ما كان، وذلك حين يستشرف

٨٠- إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ص ١٣-١٤.

٨١- زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٤١٦.

٨٢- إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ص ١٤-١٥.

المستقبل، وينبتق كذلك من الـ "ما كان" بما أنه ما هو إلا استشرافه الذي تحقق فأصبح حاضراً، فالحاضر يُزمن نفسه بأصالة مماثلة مع أفق المستقبل والـ ما كان (٨٣).

غير أن فجوة المستقبل الهائلة تطبع الحاضر بطابع اللايقين، وتصيب الماضي، وتؤثر في المغامرة الإنسانية، والاعتراف بهذا اللايقين لا ينبغي أن يدفعنا إلى التخلي عن التوقعات المبسطة التي كانت من إسهام مراكز علم استشراف المستقبل خلال ستينات القرن الماضي، فعلى هذا الاعتراف أن يقدم لنا عناصر لا يقينية كجواب على يقيننا الحاضر، وأن يجعلنا نواجه الصعوبة المركزية المتمثلة في التفكير في حاضرننا، أي التفكير في تيارات عالمنا الحاضر، فالنقدم الكبير الذي قدمته سبعينات القرن الماضي هو الاعتراف بمبدأ اللايقين، وهو بالتأكيد المعين الأول الذي تحمله معها كلمة أزمة، أي ظهور اللايقين، حيث يبدو أن كل شيء يقيني، ومنضبط ومحكم، وبالتالي قابل للتوقع (٨٤).

وبناءً على هذا يبدو أن الزمان هو الخاصية الأنطولوجية الأساسية للواقع الموضوعي للظواهر، أي له قدرة على التجلي كأساس معرفي للظواهر، ومن هذا المنطلق يتسنى لنا فهم قول كانط: "إن ما يُشكل بالضرورة وجود الأشياء ينتمي إلى الفلسفة المتعالية" لأن ما يعنيه بالفلسفة المتعالية هي تلك الفلسفة التي تحدد أولياً الوجود اليقيني للموجود، أي أن الفلسفة المتعالية بوصفها أنطولوجية تؤسس المعرفة التجريبية (٨٥)، فكانت يرى أن المكان والزمان مصدرهما إنساني، وينبعان من القدرة الحسية، ومن ثم ذاتيان، وبالرغم من ذلك ليسا من خلق العقل، وإنما لهما وجودهما الموضوعي الخارج عن الذات، فالمكان والزمان صورتان قبليتان للحدوس التجريبية، وهما كذلك حدسان قبليان (٨٦).

ويوضح موران أن رجال الاقتصاد البرجوازيين قد اعتقدوا في الستينات أن المستقبل لم يكن سوى استمرارية للحاضر، وقد انطبع بطابع النمو المنتظم، فلا وجود لأي نجم يرشد المستقبل الذي أصبح مفتوحاً، ما دام يحمل من الآن وفي الوقت نفسه إمكانية فناء الإنسانية، وإمكانية تقدم حاسم للإنسانية، وبين هاتين الإمكانيتين، تصبح كل الاقترنات،

٨٣- جمال محمد أحمد سليمان : الوجود والموجود- مارتن هيدجر، دار التنوير، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١٨٢.

٨٤- إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ١٩.

٨٥- إيمانويل كانط : أنطولوجيا الوجود، ترجمة: جمال محمد أحمد سليمان، دار التنوير، ٢٠٠٩م، ص ٢٣٣.

٨٦- محمود فهمي زيدان: كنط وفلسفته النظرية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م، ص ٨١.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

وكل تجاورات التقدم والتقهر ممكنة، يجب علينا محاولة النظر في حلقة الماضي/الحاضر/المستقبل بامتلاكنا معنى البعد الذاتي المركب للتطور التاريخي، وهكذا تفيد عملية التوقع في اكتشاف دوامة الحاضر (٨٧).

غير أن التطور ينطوي على تنميات وتقدمات، والتنميات تتطوي على تخلفات والتقدمات تتطوي على تقهقرات، وعلى قطائع وتحولات جذرية، إننا نعيش في قرن الثورات، ونحن نعرف أن التطور يميل إلى التحطيم أحيانا، وهكذا فإننا نلقي أنفسنا في عالم يبدو لنا في الآن الواحد في طور التطور، وفي تقدم، وفي تقهقر، وفي أزمة، وفي خطر، يجب علينا الربط بين مفاهيم الأزمة هذه، أي مفاهيم التطور، والتقهر، وانتقاء مفهوم منها وإقصاء المفاهيم الأخرى، لكن حيرتنا تكمن في عدم قدرتنا على معرفة أي هذه المفاهيم سيكون هو الحاسم في نهاية المطاف (٨٨).

أخيرا فإننا لن ندرك أن واقعيتين معينتين تتزامنان أو تتعاقبان لو لم يكن تمثيل الزمان الأرضية التي يقوم عليها هذا الفهم للمحمولات الزمانية في التجربة الدائمة، فالزمان بسبب كونه يؤسس نسقا للمفاضلة، يمكن أن يُفرغ من جميع ما فيه من وقائع، تماما كما يفرغ المكان من جميع محتوياته، دون أن يتسبب ذلك في إلغاء الزمان نفسه، فالزمان شرط قبلي بصوري لجميع المظاهر مهما كان نوعها، فهو مباشر مع الظواهر الداخلية، ومتوسط مع الظواهر الخارجية (٨٩)، فالعالم الجديد يتميز عن العالم القديم بالانفتاح على المستقبل، وعلى بداية مرحلة تاريخية جديدة، حيث يعاد إنتاج الحاضر الذي يولد في كل لحظة، لهذا السبب يتضمن الوعي التاريخي تحديدا بين الأزمنة الجديدة والزمان بوصفه تاريخا للزمان الحاضر (٩٠).

ويرى الباحث هنا أن عملية التقدم (التطور) مرتبطة بالزمان، والذي بدوره مرتبط بالأشياء، ولا يوجد بشكل مستقل عنها، كما أنه لا يمكن تصور الأشياء بدون زمان، والزمان

٨٧- إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ص ١٩-٢٠.

٨٨- المرجع السابق: ص ص ٤١-٤٢.

٨٩- بول ريكور: الزمان والسرد الزمان المروي، الجزء الثالث، سبق ذكره، ص ص ٦٨-٦٩.

٩٠- محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، ص ١٢٦.

لا يمكن تصوّره بدون الإنسان الذي يدرك بذاته العاقلة الزمان، فهو مرتبط بوجود الإنسان وتطورات حياته وتكوين معارفه، كما أن للزمان صورتين: صورة غير محددة ولا متناهية، وصورة فيها تدفق وانتظام واتساق تظهر من خلال المكتشفات العلمية الحديثة، وبالتالي فكل خبراتنا الزمانية مرتبطة بالتغيرات، ويستنتج الباحث أيضاً أن الماضي والمستقبل كلاهما غير منفصل عن الحاضر، ويُنظر إليهما بعين الحاضر، فالحاضر هو الأساس وأهم اللحظات الزمنية المليئة بالتجربة الواقعية المعاشة، والماضي والمستقبل كلاهما حاضر في تلك التجربة، كذلك أيضاً فإننا نستنتج أن المعارف التي يتم الحصول عليها محاطة بأطر زمانية في جميع مراحلها.

خامساً- المعرفة والتقدم:

يرى موران أن فكرة التقدم أخذت حيزاً كبيراً في عصر التنوير مع تسيد العقل الذي قاد الإنسانية نحو التقدم، وبذلك أصبح التقدم هو القانون المحتوم للتاريخ، لكن هذا التقدم لا يخلو من خاصية أزماتية، فالتغير المتسارع يؤدي إلى فك البنين الاجتماعي والثقافي (٩١)، وعليه يجب مقاومة قوى العدم والتقهقر في كل المجالات، فالحد من الموت مقاومة، والنضال ضد الوحشية مقاومة، والمستقبل لم يعد ذلك التقدم اللامع إلى الأمام، أو بالأحرى ينبغي القول إن هذا التقدم اللامع لتهديدات العبودية والحرية، يجب أن يقاوم أيضاً، وبشكل أكثر اتساعاً، يجب علينا من اليوم، ودون توقف مقاومة الكذب، والخطأ، والاستسلام، والأيديولوجيا، ومقاومة التكنوقراطية، والبيروقراطية، ومقاومة الهيمنة والاستغلال، وأكثر من ذلك يجب علينا أن نهبي أنفسنا إلى أشياء وأنماط جديدة من المقاومة (٩٢).

فالعالم الجديد وبنظرية معرفية جديدة مواكبة له قادرٌ على مد الكثير من مباحث العلم المعاصر النظرية منها والتجريبية بأفكار متطورة، وانتشار فلسفة هذا العلم من ركودها، وكذلك تحديد الكثير من سمات المرحلتين الراهنة والقادمة من مسيرة العلم المعاصر،

٩١- هبه عادل: التقدم العلمي- التقني وأزمة العالم: قراءة في فلسفة إدغار موران المستقبلية، مجلة الآداب، جامعة بغداد، كلية الآداب، العدد ١١١، ٢٠١٥م، ص ص ٦٠٩-٦١٠.
٩٢- إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ٨٣.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

وبالتالي لا بد من توجيه دعوة للفكر البشري بعدم النظر إلى ظواهر الوجود بعين ثوابته المرجعية التي تعميه عن رؤية الحقيقة (٩٣).

وفي الوقت نفسه، يجب علينا أن نعلم أننا لن نستطيع تجاوز التهديدات إلا بفضل تحولات كبيرة ومتعددة بإمكانها تحديد شروط المشكلة " فإذا أراد الإنسان أن يعيش، فعليه أن يتغير"، كما قال ياسبرز، وكلما تقدم ناحية الموت، تقدمت مشكلة التغيير الضروري لإنقاذ الحياة، وهنا تظهر من جديد فكرة الثورة المعرفية، أي فكرة تحول جذري ستؤثر في الفرد وعلاقاته، وفي النظام الاجتماعي الذي يعمل على ظهور الإنسانية، لكن يجب على هذه الفكرة أن تُظهر من كل النواقص ما عدا إنقاذ الإنسانية، فهي ضرورية منطقياً لإنقاذ الحياة، وهي لن تنجز التطور الإنساني، لكنها ستعطي انطلاقة تطور جديد، إنها ستعمل على تغيير مبادئ التغيير، إن فكرة الثورة المعرفية تحمل في ذاتها فكرة الاستمرارية الجذرية (٩٤).

ثم إن فكرة إصلاح المجتمع وتقدمه تبدأ من المجتمعات الصغيرة، لتعزيز فهم المستقبل، فكما أكد ألبير كامي أنه يمكن إنقاذ المجتمع بواسطة مجموعات صغيرة، أو كما قال أندريه جيد إن العالم يمكن إنقاذه من خلال البعض، فالوعي اليوم لم يعد فقط وعياً وطنياً أو ثقافياً فحسب، بل أصبح كوكيباً، وتقدمه مسألة حيوية، فلا بد من ضرورة وجود معرفة موثوقة تتيح تضمين السياق الكلي، وليس ما يأتي في أذهاننا المُشكلة بواسطة الفكر الحالي (٩٥)، غير أن الحياة عموماً، والحياة الإنسانية على الأخص هي التي يجب ضمان استمراريتها، ويجب إنقاذ الحضارة من الوحشية القديمة والجديدة؛ لأن هناك علاقة تكامل وتضاد بين المغامرة والثورة، فالثورة تمر عبر مقاومة الموت، وهي مقاومة تحتاج إلى ثورة، والمستقبل عموماً يمر عبر المقاومة (٩٦).

وعليه أكد موران أن القرن العشرين أنجز أشكالاً باهرة من التقدم في جميع مجالات المعرفة العلمية، فثمة تقدم محرر للإنسان يتجلي في استخدام الآلات الصناعية والشخصية،

٩٣- جمال نصار حسين: نحو معرفة جديدة، مجلة التربية، العدد ٦، ٢٠٠٧م، ص ٢٢٢، ص ٢٢٦.

٩٤- إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ٨٣-٨٤.

٩٥- لورانس بارانسكي: المفكر الفرنسي إغار موران إصلاح الفكر هو إصلاح اجتماعي وذاتي في آن، ترجمة: عفيف عثمان، مراجعة: كريم عبدالرحمن، مجلة الاستغراب، ٢٠١٧م، ص ٣٦:٣٨.

٩٦- إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ٨٤.

د/ محمود إبراهيم محمد عبد القادر

غير أن التاريخ لا يتقدم بشكل انسيابي مثل تدفق نهر، بل يسير على شكل انحرافات سواء في مرحلة التجديد أو الابتكار (٩٧)، فالفكر البشري يعني طرح وحل المشكلات العامة، وتطوير القدرات العامة للتفكير يدفع في اتجاه تطوير الكفاءات الخاصة، وبقدر ما تكون المهارة العامة قوية بقدر ما تكون قدرتها على تمثل المشكلات الخاصة كبيرة، ففهم المعطيات الخاصة يتطلب تفعيل المهارة العامة التي تثير تنظيم المعارف، وتلقي الضوء على كل حالة على حدة (٩٨).

ومن ناحية أخرى يمكننا ربط فكرة المقاومة والثورة بفكرة الأسس، ففكرة الأسس تعني: ١- تأسيس بؤر للمقاومة بكل ثقافة تكون بؤر انطلاقة ثقافية جديدة، ٢- تأسيس نسيج من العلاقات الاجتماعية الجديدة، ومن علاقات حياة مغايرة، ٣- تأسيس مبادئ للبحث حيث يتم بلورة مبادئ الفكر من أجل فهم عالمنا، وزماننا، وذواتنا، ففكرة الأسس هي فكرة انفتاح من أجل حماية قرننا، إنها تنطوي في داخلها على حماية ما ينبغي إنفاذه داخل هذا التقهقر الشامل، الأمر الذي يُمكن من التقدم الحاسم داخل صيرورة الإنسانية، إن فكرة الأسس هي الفكرة التي تسمح بالحفاظ لا على الماضي فحسب، وإنما على المستقبل (٩٩).

وعليه فالتقدم الحالي ليس ثورة تقنية فحسب، وإنما شيء أعمق من ذلك بكثير يشبه ما أحدثه ظهور الحروف، لإننا نحمل بذور المبادئ المنظمة للمعرفة، وهي ضرورية ولازمة لمواجهة تحديات التشابك بين الموجودات؛ لأن هذا التشابك يحتاج تفسيراً، وبالتالي تحاول المعرفة العلمية الكشف عن القوانين (١٠٠).

إننا نعيش عصر تدفقت فيه المعرفة الإنسانية وتنوعت الإنجازات الفكرية والعلمية والثقافية، وتعاضمت فيه الإبداعات التكنولوجية، وفي كل ذلك توثقت العلاقة بين الانتصارات العلمية والتكنولوجية وبين مدى توافر نظم المعلومات وتيسير إتاحتها وسريانها، وأصبحت

٩٧- إجار موران: تربية المستقبل، سبق ذكره، ص ٥٧، ص ٦٣.

٩٨- المرجع السابق: ص ٣٨.

٩٩- إجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ٨٤-٨٥.

١٠٠- إجار موران: تحديات القرن الحادي والعشرين تواصل المعارف العلمية، ترجمة وتعليق: حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الثاني، ٢٠٠١م، ص ٩٧١، ص ١١٩٧، ص ١٢٠٧.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

الحصيلة المعرفية لمجتمع ما هي القوة التي تصوغ حاضرة وتؤمن مستقبله، وبالتالي أصبحت الأمة القوية هي الأمة الأكثر معرفة ودراية (١٠١).

فكل مقاومة تتطلب استقلالية كل فرد وتحمل المسؤولية الشخصية، وأن كل أزمة تتطلب خصالاً فرديةً من الذكاء والابتكار، وكذلك تتطلب الأفكار الأيديولوجية، فالثورة الحقيقية تكون متعددة الأبعاد وتتطلب تحولات متعددة متزامنة، فكل شيء يمكنه أن يبدأ من أية نقطة، وفي كل مكان من أطراف متنوعة، ويجب على بدايات متنوعة أن تحدث، تتزامن، وتتآزر، حيث إن المبادرة والذكاء يصبحان فاعلين، فيجب من جديد على كل فرد في موقعه الخاص أن يشعر بأن الأمر يعنيه (١٠٢).

يجب على كل فرد أن يبدأ بالشرع في البداية حتى وإن كان ذلك مع ذاته، فكل فرد، دون وعي، يفعل في الصيرورة وينفعل بها، واختفاء المنقذ التاريخي يعيد للجميع ولكل شخص، ولكل إرادة، دوره ورسالته، وكل فرد يجد نفسه انطلاقاً من الآن متجهاً نحو الوعي الشمولي والعام للإنسانية، وهنا نجد من جديد السؤال: كيف نتقن النظر، والتفكير؟، وكيف نتقن التفكير في تفكيرنا؟، وكيف نتقن الفعل؟، ينبغي إنجاز هذا لا من أجل ذواتنا فحسب، وإنما من أجل المهمة العظيمة وهي النضال ضد موت النوع الإنساني ومن أجل ولادة الإنسانية (١٠٣).

وينبغي على الفكر في القرن الواحد والعشرين أن يتخلى عن الرؤية الأحادية التي تنظر إلى الإنسان من وجهة نظر عقلانية، وتقنية، وفعالية؛ لأن الإنسان كائن مركب يتشكل من أزواج من الخاصيات المتعارضة، فهو كائن عاقل وعامل وواقعي، وهو يحيا بالعقلانية والتقنية، ويباشر نشاطه التقني والعملية والذهني الذي يشهد على وجود عقل تجريبي عقلائي (١٠٤).

١٠١- إدجار موران: تحديات القرن الحادي والعشرين تواصل المعارف العلمية، ترجمة وتعليق: حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الأول، ٢٠٠١م، ص ١٧٧.
١٠٢- إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ٨٦.
١٠٣- المرجع السابق، ص ٨٦-٨٧.
١٠٤- إدجار موران: تربية المستقبل، سبق ذكره، ص ٥٤.

ثم يُقر موران بأن التقدم فكرة بديهية، ووجه مأمون وتقدم فعلي، فالنمو الكمي يعمل معه الازدهار الكيفي، إننا نعيش في كون حيث إن مبدأ الارتجاج والتشتت، والفوضى يؤدي دوراً مهماً، وكل تقدم فهو تقدم جزئي، ومحلي، ومؤقت، وفوق ذلك ينتج أيضاً الفوضى والتراجع، إن كل مجتمع لا يعيش، إلا بفضل حياة أفراد، بل وموتهم، وهكذا لا وجود لتقدم تحقق بشكل نهائي، ولا وجود لتقدم دون آثار، إن كل تقدم مهدد بالتراجع، ويحمل في ذاته العملية المزدوجة الدراماتيكية للتقدم/التقهقر (١٠٥)، فالحضارة هي نتاج لكبح وكفاح الفاتحين، وهو ما نسميه بحاسة الإبداع عند الأمة، فإن تقهقرها يكون نتاجاً لانكماش هذه الحاسة، بسبب الإحساس بالكمال المطلق، أو تخدر العقول، وتوقف نبض الريادة في عروقها، ولا يبقى من الحضارة حينئذ سوى ذكريات أمجادها السالفة يرددها الحالون (١٠٦).

ومن هنا فالتقدم وجه متقلب من وجوه الصيرورة، ومقدر عليه أن يتم بلا حد؛ لأنه أصبح الدليل، المقياس، والوعد بحصول تطور شمولي ولا متناه (١٠٧)، وهو مرتبط بالتحديث الذي يُعيد الاعتبار لفكرة التقدم من خلال مفهومي الإنماء والتطور، فتصورات الحداثة والتحديث تحمل نموذج التاريخ التقدمي، وإمكانية تحسين البشرية بواسطة التنقيف والتحضر والتعليم، وتدعو إلى النهوض بالبشرية، فالتقدم يؤدي دوراً أيديولوجياً أساسياً في تنمية الاستقلال الفكري (١٠٨).

وفي أثناء التطور، تتطوي العلوم على تقهقرات، هذه التقهقرات هي ذاتها التي تسمح بظهور الفكر التقنوبيروقراطي، وتنامي التوجه المغالي الذي يقطع إمكانية رؤية ما يحدث بين مجالات العلوم، ففي الوقت الذي تحمل فيه عملية الاستنباط وعملية التكميم الكائنات والموجودات التي تصبح غير مرئية، وتترك مكاناً للأرقام، ولتصورات مثالية، فإن الحياة هي التي تسقط في ثقب بين مجالات علوم الأحياء، والإنسان يسقط في ثقب بين

١٠٥- إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ٣٣-٣٤.

١٠٦- عبدالله محمد الغدامي: الموقف من الحداثة ومسائل أخرى، دار البلاد، جدة، الطبعة الثانية، ١٩٩١م، ص ١٨.

١٠٧- إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ٣٤.

١٠٨- عبدالوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص ٢١٤.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

مجالات علوم الإنسان (١٠٩)، فلا بد من عمل دراسات محددة الموضوعات عن تاريخ البشرية، ورسم تخطيطي للعالم في عملياته الجدلية، وعرض تلك الموضوعات وتقديم وتقييم نتائجها؛ لأن المعرفة أصبحت متعلقة بكيانات العالم، وتقييم معارف وخبرة الإنسان، ولا بد من معرفة طريق العلم، والحرص على الدقة المفاهيمية (١١٠).

إن التقدم فكرة مركبة، ومن أجل تحقيق ذلك، يجب هدم فكرة تقدم بسيط، مضمون، ويسير في اتجاه واحد، والنظر إلى التقدم على أنه متقلب في طبيعته متضمن لتقهقر كامن في مبدئه ذاته، تقدم يعيش اليوم أزمة على مستوى كل مجتمع، يجب علينا أن ننظر إلى الوحشية، لا فقط تلك التي لم يستطع التقدم الحضاري القضاء عليها، بل كذلك الوحشية التي أنتجها هذا التقدم ذاته، فالأشكال الجديدة للوحشية، المترتبة على حضارتنا لم تقبل في تقليص الأشكال القديمة للبربرية، بل إنها أيقظتها واقرنت بها (١١١)، وعلى هذا فإننا في حاجة إلى التقدم العلمي الذي يحتاج إلى تنمية الوعي التكنولوجي لدى الأفراد بما يمكنهم من إدراك أهمية التكنولوجيا ودورها في الحياة المعاصرة والمستقبلية، والقدرة على استخدام الحلول الابتكارية للمشكلات العلمية، وفهم المبادئ العامة والمفاهيم التي تساعد على التقدم السريع (١١٢).

غير أنه من المحتمل أن تصير حضارتنا نحو التحطيم الذاتي، وإذا حدث ذلك، فإن دور العلم، والسياسة، والتقنية والأيدولوجيا سيكون دورا أساسيا في إنقاذنا من هذه الكارثة، لقد أدرك ماركيز أن حضارتنا الصناعية تغذي في داخلها تحطيمها الذاتي، وفي السابق تبين لوالثير بنيامين أن كل تنمية تعيشها حضارة ما تتطوي على عكسها، أو على أساس وحشي (١١٣)، فإذا أردنا معرفة أكثر دقة عن نسيج المعارف والمعطيات التي أثرت في الثقافات المختلفة سنجد أنها تتعلق بروبئتنا للفضاء الكوني والزمان، وبالأشياء التي تسكن

١٠٩ - إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ٣٦.

110 - Rober E. Dewey: The Future of philosophy, The journal of philosophy, vol, 53, No, 5, 1956, p,188.

١١١ - إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ٣٦.

١١٢ - إدجار موران: تحديات القرن الحادي والعشرين تواصل المعارف العلمية، الجزء الأول، سبق ذكره، ص ١٥٠.

١١٣ - إدجار موران: إلى أين يسير العالم؟، سبق ذكره، ص ٣٨.

الكون بعيدا عن تخيل تدريجي يفوق تلك الرؤية الخاصة للعالم، فرؤيتنا المعاصرة قائمة على مرتكزات تقليدية متعددة تكمل بعضها بعضا (١١٤).

أخيرا لابد من الوعي بمختلف الموضوعات، والتوجه للمستقبل، ومعرفة دور الإنسان في إحداث التطورات المعرفية والعلمية التي تصنع الحاضر (١١٥)، فالمعرفة الفلسفية تتساءل دوما عما يمكن فعله ومعرفته، وتعمل على صياغة مفاهيم جديدة ودقيقة ومتميزة، وتحاول فهم الذات الإنسانية؛ لأن الفيلسوف محاط بالتفكير في المشكلات العلمية والعملية وتقديم حلول لها (١١٦)، كما يميل إلى الاهتمام بالأطر الكبيرة بدلا من الأسئلة المحددة داخل إطار معين مما يوصل إلى معارف دقيقة وبقينية، وبالتالي فهم القضايا والمفاهيم التي تتعلق بطبيعة حياة الموجود البشري (١١٧)، وفرز الموضوعات الفكرية المختلفة وتصنيفها، فيعرف الأفراد كيف يديرون حياتهم بنجاح كبير (١١٨).

ويعقب الباحث هنا بأن فكرة التقدم تُعد من أهم الأفكار التي صاحبت تفكير الإنسان منذ القدم وحتى الوقت الراهن، فهي من أهم المفاهيم والمصطلحات؛ لأنها تتضمن معنى النمو والتطور والارتقاء بالمجتمعات الإنسانية في كافة المجالات، وهي تقاوم التراجع والتقهقر، فبالنقد يتم إصلاح المجتمعات، وتعزيز فهم المستقبل، والقرن العشرين والواحد والعشرين يُعدا خير شاهد على ذلك، فهم أزهى عصور الإنسانية تقدما من خلال الاكتشافات العلمية الحديثة والوسائل التكنولوجية المتقدمة التي طورت كثيرا من فهم الموجود الإنساني لطبيعة الحياة والوجود، وإصلاح وتقديم المجتمع.

سادساً- دور العقل في بناء المعرفة :

١١٤- إدجار موران: تحديات القرن الحادي والعشرين تواصل المعارف العلمية، الجزء الأول، سبق ذكره، ص ٧٠
115 - Lucics Outlaw: The Future of philosophy in America, Nous, vol, 25, No, 2, 1991, p,196.

116 -john Lachs : The Future of philosophy, proceedings and addresses of American philosophical, association, vol, 78, No, 2, 2004, p,5.

117-john R. Searle : The Future of philosophy, philosophical Transactions: Biological sciences, vol, 354, No, 1392, 1999, p,2069.

118-Michael Dummett : The Nature and Future of philosophy, Rivista di storia della filosofia, vol, 58, No, 1, 2003, p,13.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

العقل هو قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني، وتأليف القضايا، والعقل يستطيع أن يجرد الصورة عن المادة ولواحقها، فهو قوة تجريد تنتزع الصور من المادة وتدرك المعاني الكلية كالجوهر والعرض، والعلة والمعلول، والغاية والوسيلة، وهو أيضا قوة الإصابة في الحكم، وقوة طبيعية للنفس لتحصل المعرفة، وهو الملكة التي يحصل بها للنفس علم مباشر بالحقائق المطلقة، كما أنه مجموع المبادئ المنظمة للمعرفة (١١٩)، والعقل - كما يرى ليبنتز - يعني المبادئ الواضحة والنتائج المستدلة منها، وهو علة نهائية، نحتاجه لتوسيع معارفنا وتنظيم معتقداتنا، وقد قسمه إلى درجات: ١- اكتشاف الأدلة ٢- تنظيمها بشكل يظهر ارتباطها ٣- إدراك الارتباط ٤- استخراج النتائج (١٢٠).

أما العقل عند موران فيمتلك ذاكرة وراثية ومبادئ تنظيمية فطرية للمعرفة، وفي الوقت نفسه اكتسب ذاكرة شخصية ودمج في ذاته مبادئ اجتماعية وثقافية في تنظيم المعرفة، وهكذا تتغذى معرفة الفرد من الذاكرة البيولوجية والثقافية اللتين تجتمعان في ذاكرته الخاصة، وتخضع لمجموعة من المرجعيات الموجودة في داخلها بطرق متباينة (١٢١).

وعليه يرى موران أن الأدوات التي تمكنا من معرفة الكون المعقد هي أدوات عقلانية، إلا أنه، يجب القيام بنقد ذاتي للعقل، فالعقلانية هي الحوار الدائم داخل فكرنا الذي يخلق بنيات منطقية، ويطبّقها على العالم الخارجي ويتحاور معه، وعندما لا يكون هذا العالم متطابقا مع نسقنا المنطقي، يجب الإقرار بأن نسقنا المنطقي غير كامل، وبأنه لا يعالج سوى جزء من الواقع، إن العقلانية بمعنى ما لا تزعم إطلاقا بأنها تصف بشكل تام كلية الواقع داخل نسق منطقي، إنها تطمح إلى الحوار مع ما يعاندها؛ لأن الكون أكثر غنى مما يمكن أن تتصوره بنيات عقولنا (١٢٢)، فالعقل هو أعلى درجة من درجات الوجود، وهو غير

١١٩- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، سبق ذكره، ص ص ٨٥: ٨٨.

١٢٠- ج.ف. ليبنتز: أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تقديم وترجمة: أحمد فؤاد كامل، دار الثقافة، ١٩٨٣م، ص ٢٩١.

١٢١- إدجار موران: المنهج الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها، وتنظيمها، الجزء الرابع، سبق ذكره، ص ص ٢٧- ٢٨.

١٢٢- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ص ٧٠-٧١.

د/ محمود إبراهيم محمد عبد القادر

مربوط بالمكان والزمان، وهو قادر على معرفة الماهيات العقلية غير المادية، وعلى إدارة الغايات التي تتعدى الماديات (١٢٣).

غير أن إعمال العقل على مراحل نتج عنه إنتاج ما لاحصر له من الوسائل البشرية المفيدة، كما نتج عنه في الوقت نفسه التسليم بالكثير من القيم الجديدة التي كانت انعكاساً للواقع العلمي والتقني الجديد (١٢٤)، والعقل ليس أداة للمعرفة فحسب، بل هو أداة للتعامل والنشاط، فمعنى الفكر والعقل ليس فقط في ما ينقلان إلينا من معلومات ومعارف إنما في ما يؤديان إليه من الأعمال؛ لأن كل ما نعمله ونشاهده ونحصل عليه من الوقائع تتطبع صورته في عقولنا (١٢٥).

والسؤال الذي يطرحه موران ما التبرير العقلاني؟ ويجب أن الرغبة في وضع الواقع داخل نسق متوافق، وكل ما يتناقض مع هذا النسق يتم إقصاؤه والنظر إليه بوصفه وهماً أو شيئاً عديم الفائدة، هنا نكتشف أن العقلانية والتبرير العقلاني لهما المصدر نفسه، إلا أنهما يتطوران ويصبحان عدوين لبعضهما بعضاً؛ لأنه من الصعب معرفة متى نمر من العقلانية إلى التبرير العقلاني، إذ لا توجد بينهما حدود فاصلة، فلدينا ميلا لا واعيا لإقصاء ما يتناقض مع فكرنا، ونركز اهتمامنا واختيارنا على ما يدعم فكرتنا ونتجاهل ولا نختار ما لا يدعمها (١٢٦)، غير أن المعرفة البشرية ليست فقط معرفة عقل وجسم موجودين داخل ثقافة معينة، بل معرفة تتولد بطريقة بيولوجية، وانثربولوجية، إنها ليست معرفة قائمة على مركزية الأنا لدى فاعل ما أو شيء ما، بل المعرفة التي تكون لدى فاعل يحمل في ذاته مركزية النوع والعرق والمجتمع، أي أنه يحمل الكثير من مراكز المرجعية ومواضيعها (١٢٧). وعليه فمن الضروري أن يكون العقل ناقدا لذاته، ولغيره من الموجودات، وعلينا أن نقاوم تأليه العقل الذي يُعد مع ذلك أدواتنا في المعرفة الموثوقة، فلقد قام بعض الفلاسفة

١٢٣- إم. بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٦٥، ١٩٩٢م، ص ٣١٠.

١٢٤- عبدالوهاب جعفر: خطاب الفلسفة المعاصرة أداؤه وإشكالياته، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص ٦٩.

١٢٥- يعقوب فام: البراجماتية أو مذهب الذائع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، ص ١٩٦-١٩٧.

١٢٦- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ٧١.

١٢٧- إدجار موران: المنهج الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها، وتنظيمها، الجزء الرابع، سبق ذكره، ص ٢٩.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

الغربيين، مثل ليفي برول بدراسة المجتمعات التي اعتقد أنها مجتمعات بدائية، وكانت تتكون من مئات الأفراد، والتي شكلت الإنسانية خلال بضعة آلاف سنة، وقد نظر برول إلى هؤلاء البدائيين انطلاقاً من عقله الغربي بوصفهم كائنات أولية ولا عقلانية، على عكس فتجنشتين الذي تساءل كيف أمكن لهؤلاء البدائيين أن يقضوا وقتهم في ممارسة طقوس السحر، وفي وضع رسوم، أن ينسوا وضع استراتيجيات حقيقية؟ لأن هذه المجتمعات البدائية قائمة على عقلانية كبيرة ظاهرة في جميع ممارساتها، وفي معرفتها بالعالم (١٢٨).

ومن ناحية أخرى فإن مفهوم الأشياء وأفكارنا عنها يأتي إلينا من خلال البناء العقلي، وهذا البناء يجعل هذه الإمكانية موجودة في الجهاز العصبي المركزي، وأحد أوجه التميز في هذا النظام تكمن في المعنى المعاصر، الذي يتمثل في أن الأشياء التي سوف نفعّلها يتم ترتيبها في نظام محكم مما يجعل العمليات التالية توجد على غرار العمليات السابقة، وأن الأشياء التي سوف نفعّلها يمكن أن تحدد لنا كيفية معالجة ذلك الموضوع (١٢٩)، وعليه فإن تطور العقل يتم من خلال الأفعال التي تشكله، وتعد مفتاح تطوره من خلال فهم طبيعة الموجودات (١٣٠).

ويبين موران أننا نعيش داخل ثقافة قامت بتطوير العقلانية، كالفلسفة والعلم، لذلك فإننا في حاجة لعقلانية ناقدة لذاتها، لعقلانية تمارس حواراً دائماً مع العالم التجريبي، هذه العقلانية هي المصلح لأحوال المجتمع، فلم يكن في مقدور الفلسفة قديماً أن تتمثل هذا التعقيد الهائل للكون مثلما هو متاح اليوم، إننا في حاجة إلى الحوار الدائم مع الاكتشافات، أما العلم فله معطيات جديدة تدفعه إلى تغيير منظوره وأفكاره (١٣١).

وهكذا تمثل دور العقل في إقامة حوار مع العالم الخارجي، وتطبيق مفاهيم وأنساق فكرية لها نوع من الاتساق، ومعرفة إلى أي مدى يمكن للواقع أو العالم بطريقة ما أن يكون

١٢٨ - إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ٧٢.

129 - G. H. Mead: Mind, Self and Society, from The standpoint of social Behaviorist, edited by, Charles W. Morris, the Univ. of Chicago Press, Chicago Illinois, 1937, p. 117.

130 - Andrew .j. Reck :Recent American philosophy, A division of Random House , New York. 1964, pp.97,100.

١٣١ - إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ٧٣.

د/ محمود إبراهيم محمد عبد القادر

قابلا للفهم بناء على الاتساقية التي فرضها عليه العقل، فكل معرفة تستلزم حوارا لا يتوقف بين العقلانية والعالم (١٣٢).

ثم يستنتج موران أن هناك ثلاثة مبادئ بإمكانها مساعدتنا على التفكير، المبدأ الأول: المبدأ الحوارية: هو الذي يجمع بين حدين متكاملين ومتعارضين في الوقت ذاته، أما المبدأ الثاني: فهو مبدأ الارتداد التنظيمي حيث إن النتائج تشكل علا، فالأفراد مثلا نتاج لمسار توليدي سابق علينا، والمجتمع ينتج بواسطة التفاعلات بين الأفراد، فإذا لم يكن هناك المجتمع والثقافة واللغة والمعرفة المكتسبة، فلن يكون هناك أفراد إنسانيون، فالأفراد ينتجون المجتمع الذي ينتج الأفراد (١٣٣)، والمبدأ الثالث هو المبدأ الهولوغراممي*: الذي يعني ليس فقط أن الجزء يوجد داخل الكل، ولكن أيضا أن الكل يوجد داخل الجزء، وهي الفكرة التي صاغها باسكال، لا يمكنني تمثيل الكل دون تمثيل الجزء ولا تمثيل الجزء دون تمثيل الكل، ومع ذلك فنحن نعلم، فيما يخص المنطق الارتدادي، إن ما نعرفه حول الأجزاء يعود على الكل، وأن ما نتعلمه بصدد الخاصيات المنبثقة الخاصة بالكل يعود على الأجزاء، لذلك بالإمكان إغناء المعرفة بالأجزاء بواسطة الكل والمعرفة بالكل بواسطة الأجزاء (١٣٤).

غير أنه لا بد من الإشارة إلى أن الطاقات التنظيمية للعقل البشري تحتاج إلى شروط ثقافية للتفعيل، وهذه الشروط تحتاج إلى مؤهلات في العقل لتتنظم، فالبرمجيات الثقافية تسهم في توليد معارف العقل؛ لأن الثقافة موجودة في العقول وتعيش فيها، فعقلي يعرف من خلال ثقافتي، وثقافتي تتكون من خلال عقلي (١٣٥).

ثم يرى موران أنه بالإمكان الكشف عن هيمنة المنظومة التي صاغها ديكرت، حيث قام بالفصل بين مجال الذات المخصص للفلسفة والتأمل الداخلي، وبين مجال الشيء

١٣٢- سعدي عبدالفتاح: نقد العقل العلمي الحدائي عند إدجار موران، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة

قاصدي مرياح، العدد ٢٦، ٢٠١٦م، ص ٣٤٣.

١٣٣- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ٧٤-٧٥.

* (الهولوغراممي: تقنية تصويرية تُسجل الضوء المنبعث من جسم ما).

١٣٤- المرجع السابق ص ٧٥-٧٦.

١٣٥- إدجار موران: المنهج الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها، وتنظيمها، الجزء الرابع، سبق ذكره، ص ٢٩.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

داخل الفضاء الممتد، وهو مجال المعرفة العلمية والقياس والدقة، لقد فصل الثقافة التي نسميها إنسانية -أي تلك المتعلقة بالأدب والشعر والفنون- عن الثقافة العلمية، فلم تعد الثقافة الأولى القائمة على التأمل تتغذى من منابع المعرفة الموضوعية، ولم تعد الثقافة الثانية، القائمة على تخصص المعرفة، قادرة على أن تتأمل ذاتها ولا أن تفكر في ذاتها(١٣٦)، فعقولنا تُدرك الموجودات الطبيعية وتعلمها كما هي ماثلة في الحواس وفي الذاكرة، وهي موضوعه الخاص بما أنه إنساني، أي بوصفه عقلاً متحداً بيدن، وله موضوعٌ مطلقٌ يجاوز الطبيعة المحسوسة إلى أصولها وشروطها غير المحسوسة، فيمتد إلى مطلق الوجود(١٣٧).

ثم يُبين موران أن العقلانية الحقة منفتحة وهي تحاور الواقع الذي يأبى عنها، وتظل في حركة متواصلة بين المنطق والتجربة، وهي ثمرة نقاش الأفكار بالحجج والأدلة، وليست حكراً على نظام معين من الأفكار، فهي تعرف المنطق، والحتمية، والآلية، وتعرف أن الفكر البشري لن يكون كلي العلم، وأن الواقع ينطوي على أسرار وألغاز، ومن هنا نجد العقلانية الحقة تتدبر غير المعقلن والغامض، وتحتوي في شمولها على فهم الواقع، فما هي بالناقدة فحسب، بل وناقدة لذاتها أيضاً، وبالتالي فالعقلانية من خواص الأذهان العلمية والتقنية التي تفتقر إليها الأذهان الأخرى، فهي تجعلنا نحكم على كل ثقافة حسب إنجازاتها، وننظر إلى هوية الكائن البشري في تعقدها(١٣٨).

ومن هذا المنطلق يجب غرس العقل التتوييري في كل مجالات الحياة؛ لأن العقل مفتاح الحداثة والتعقلية؛ لأنه يحاول معرفة الحقيقة وتمييزها عن الخطأ، وهو أداة التواصل الحقيقية التي تجعل المتكلم ينتمي للإنسانية، فهو يفهم الغايات ويرتبط بالإيديولوجيات، وكذلك وسيلة تقنية أداتية لغايات إستراتيجية(١٣٩).

أخيراً يصل موران إلى أن العقل يمتلك الاستقلالية النسبية؛ لأنه عنصر في حاسوب ثقافي كبير مؤلف من ترابطات بين الحواسيب المستقلة نسبياً والمتمثلة في العقول

١٣٦- إدجار موران: الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، سبق ذكره، ص ٧٧.

١٣٧- يوسف كرم: العقل والوجود، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٧٩.

١٣٨- إدجار موران: هل نسير إلى الهاوية؟، سبق ذكره، ص ص ٥٧-٥٨.

١٣٩- عبدالوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، سبق ذكره، ص ص ٢١٠-٢١١.

د/ محمود إبراهيم محمد عبد القادر

لدى الأفراد، حتى عندما تقود البرمجيات الفرد وتراقبه، فإنه يتمتع دائماً بحاسوبه الشخصي (أي العقل)، فالعقل يستطيع أن يستقل عن الوضع البيولوجي، والثقافي والاجتماعي، وعن التبعية التي تجبره وتحده وتغذيه، وهذا الاستقلال يأتي من المعرفة العادية اليومية، والفلسفية، والعلمية (١٤٠).

أخيراً يرى الباحث أن معايير العقل تكمن في قدرته المعرفية وقدرته على ابتكار حلول للمشكلات البسيطة والمعقدة، وكذلك قدرته على إدراك الحقائق ومعرفة ماهيات الأشياء، والوصول إلى المعرفة القبلية التي تسبق التجارب من خلال قدرته الإبداعية والابتكارية، وكذلك العقل قادر على تقديم دلالات لإثبات وتفسير ما يحدث من ظواهر طبيعية، وعلى إحداث تطور مستمر لحياة البشر، وتاريخ العلوم والفلسفة يُبينان حركة العقل وتطوره في جميع المجالات، ويظهر هذا جلياً في العلوم الطبيعية التي حدث فيها تحولاً وتطوراً عميقاً بفضل العقل وقدراته وتوجيهاته، فالعقل قادر على التحليل، والتفكيك، ثم التركيب، والتأليف وهي الصورة الكلية، أي أن العقل يصل إلى معارف حقيقية كلية، وهذا يبرز دوره وقيمه في تقدم المعارف الإنسانية وتطورها.

الخاتمة ونتائج البحث

بعد هذا العرض لنظرية المعرفة عند موران تم الوصول إلى عدد من النتائج على النحو التالي:

١٤٠ - إدجار موران: المنهج الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها، وتنظيمها، الجزء الرابع، سبق ذكره، ص ٣٠.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

أولاً- نستنتج أن المعرفة عند موران هي انبثاق من تطورات عقلية، بعدها يبدأ التطور الثقافي للإنسانية، وهي ملازمة لكل تنظيم حيوي؛ لأننا لا يمكن أن نعيش دون التطورات المعرفية التي تكشف لنا أهمية ووظيفة الموجودات الطبيعية المحيطة بالموجود الإنساني، فالمعرفة مُنتجة ومُنْتجة في الوقت نفسه.

ثانياً- توصلنا إلى أنه لا بد من تنظيم معارفنا في شكل نسق من الأفكار؛ لأن حواسنا تمكننا من معرفة الأشياء وتمييزها وفحصها، بحيث نستطيع تطبيقها لمواجهة صعوبات الحياة الإنسانية، فالمعرفة توحد وترتب وتعمق المفاهيم الكبرى بواسطة مبادئ منطقية لتنظيم الفكر.

ثالثاً- تبين أن المعرفة الصحيحة عند موران مبنية على الثقافة في كل جوانبها، وهي ليست مشروطة ولا محدودة، وهي مخزنة في ذاكرات معلوماتية؛ لأن المعرفة أحد متطلبات الفكر المعاصر خاصة في ظل التقدم العلمي والتقني الذي يعمل على تطور نطاق المعرفة في كل المجالات، وذلك يتطلب مراجعة دائمة للمعارف المستحدثة بشكل مستمر.

رابعاً- اتضح أن الذات الإنسانية هي العنصر الفاعل في عملية المعرفة؛ لأنها تعمل في ظل الصيرورة الفيزيائية، وفيها يتجمع كل علم، وكل ما يمكن أن يُعرف، وهي تمتلك كل التجارب وتعمل على تقدم المعرفة والإنجاز في فهم وتفسير كل ما يدور في الوجود، والذات تشكل دعامة أساسية للنزعات الإنسانية، وهي الواقع النهائي، بها يتحول الإنسان إلى كائن عارف وفاعل ومريد، وبذلك تتشكل علاقته بالعالم.

خامساً- تبين لنا أن الزمان ناتج عن العلاقات المتعددة بين الإنسان وذاته العارفة، وبين الإنسان والموجودات الطبيعية المعروفة، وأنه حقيقة حتمية لا مفر منها وعنصر فاعل في عملية المعرفة؛ لأن جميع الكائنات تعيش في الزمان وتعيه، وهو متدفق دائماً، وسمة جوهرية للإنسان الباحث عن كل معرفة جديدة في الوجود.

سادساً- توصلنا إلى أن العقل يقوم بصياغة الوجود الإنساني وقضاياها وربطها مع القضايا الطبيعية؛ لأنه إذا أردنا أن نعرف يجب أن نتمثل ما هو خارج العقل، ولكي نفهم طبيعة المعرفة يجب فهم الوسيلة التي يكون بها العقل قادراً على تشكيل المعرفة، كما أن فهم طبيعة العلاقة القائمة بين العقل والجسد تساعدنا على فهم طبيعة الوعي العقلي،

د/ محمود إبراهيم محمد عبد القادر

وبالتالي فهم ومعرفة العالم المادي، وتفسير ظواهره المختلفة بتقديم حلول لها تعتمد على قدراتنا العقلية، وعليه فلا بد من الإقرار بوجود علاقة ترابط بين الحقائق العقلية والمادية، وهذا يشكل لب المعرفة.

سابعاً - نستنتج أن موران من دعاة التقدم العلمي والمعرفي في كافة المجالات، وذلك من خلال الوسائل العلمية الحديثة، فلا بد من ضرورة مقاومة التقهقر والعدم، وأنا يجب أن نتجاوز التهديدات التي تواجه المجتمعات الإنسانية، ونقوم بعمل تحولات كبيرة ومتعددة في مختلف مجالات المعرفة، وبذلك نضمن استمرارية الحياة وإنقاذها من التخلف والتدهور. ثامناً - أكد موران أنه لا بد من تأسيس ثقافات وأفكار جديدة تتناسب مع طبيعة الفكر المعاصر ومتطلباته ومستحدثاته؛ لفهم ذواتنا وعالمنا الخارجي، وحماية الإنسانية، والعمل على ازدهارها وتقدمها.

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً- المصادر العربية :

- ١- إدجار موران : الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة: أحمد القصور، ومنير الحجوجي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- ٢- إدجار موران : المنهج، الأفكار، مقامها، حياتها، عاداتها، وتنظيمها، ترجمة: جمال شحيد، مراجعة: مورييس أبو ناصر، الجزء الرابع، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

- ٣- إدجار موران : المنهج معرفة المعرفة: أنثربولوجيا المعرفة، ترجمة: جمال شحيد، مراجعة: مورييس أبو ناصر، الجزء الثالث، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- ٤- إدجار موران : النهج إنسانية الإنسان - الهوية البشرية، ترجمة: هناء صبحي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، الإمارات، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
- ٥- إدجار موران : تحديات القرن الحادي والعشرين تواصل المعارف العلمية، ترجمة وتعليق: حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الأول، ٢٠٠١م.
- ٦- إدجار موران : تحديات القرن الحادي والعشرين تواصل المعارف العلمية، ترجمة وتعليق: حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الثاني، ٢٠٠١م.
- ٧- إدجار موران : تربية المستقبل، ترجمة: عزيز لزرق، منير الحجوجي، دار اليونسكو وتوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- ٨- إدجار موران : روح الزمان - العصاب، ترجمة: أنطون حمصي، وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م.
- ٩- إدجار موران : هل نسير إلى الهاوية؟، ترجمة: عبدالرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٢م.

مقالات:

- ١٠- إدجار موران : أزمة المعرفة عندما يفتقر الغرب إلى فن العيش، ترجمة: جاد مقدسي، مجلة الاستغراب، بيروت، ٢٠١٥م.
- ١١- إدجار موران : طريقة جديدة في التفكير، الناشر: مركز مطبوعات اليونسكو، مجلة رسالة اليونسكو، العدد ٤٩، ١٩٩٦م.
ثانياً: المراجع العربية :

د/ محمود إبراهيم محمد عبد القادر

- ١٢- أحمد الكرساوي: مدخل إلى نظرية المعرفة، تكوين للدراسات والأبحاث، د.ت.
- ١٣- أحمد دعدوش: مشكلة الزمن من الفلسفة إلى العلم، دار ناشري للنشر الإلكتروني، ٢٠١١م.
- ١٤- أحمد زايد: علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
- ١٥- إشراف: روزنتال، يودين: الموسوعة الفلسفية وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، ترجمة: سمير كرم، مراجعة: صادق جلال العظم، جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، د.ت.
- ١٦- أنطوان خوري: مدخل إلى الفلسفة الظاهرية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
- ١٧- إ. م. بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٦٥، ١٩٩٢م.
- ١٨- إيمانويل كانط: أنطولوجيا الوجود، ترجمة: جمال محمد أحمد سليمان، دار التنوير، ٢٠٠٩م.
- ١٩- بول ريكور: الذات عينها كآخر: ترجمة وتقديم وتعليق: جورج زيناتي، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- ٢٠- بول ريكور: الزمان والسرد الزمان المروي، ترجمة: سعيد الغانمي، مراجعة، جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- ٢١- تحرير: معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، المجلد الأول، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

- ٢٢- تشارلز تايلر: منابع الذات تكون الهوية الحديثة، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
- ٢٣- ج. ف. ليبنتز: أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تقديم وترجمة: أحمد فؤاد كامل، دار الثقافة، ١٩٨٣م.
- ٢٤- جمال محمد أحمد سليمان: الوجود والموجود- مارتن هيدجر، دار التنوير، بيروت، ٢٠٠٩م.
- ٢٥- جمال نصار حسين: نحو معرفة جديدة، مجلة التربية، العدد ٦، ٢٠٠٧م.
- ٢٦- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الجزء الثاني، ١٩٨٢م.
- ٢٧- حسن مجيد العبيدي: من الآخر إلى الذات، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- ٢٨- روبر بلانشيه: نظرية المعرفة العلمية، ترجمة: حسن عبدالحميد، تقديم: محمود فهمي زيدان، مطبوعات الجامعة، ١٩٨٦م.
- ٢٩- رودرك تشيز هولم: نظرية المعرفة، ترجمة: نجيب الحصادي، الدار الدولية للنشر، مصر- كندا، ١٩٩٤م.
- ٣٠- زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٧م.
- ٣١- زكي نجيب محمود: نظرية المعرفة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٨م.
- ٣٢- سعيد عبد الفتاح: نقد العقل العلمي الحديث عند إدجار موران، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، العدد ٢٦، ٢٠١٦م.
- ٣٣- صلاح إسماعيل: البراجماتية الجديدة فلسفة ريتشارد رورتي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- ٣٤- صلاح إسماعيل: اللغة والعقل والعلم في الفلسفة المعاصرة، رؤية للنشر، القاهرة، ٢٠١٨م.

- د/ محمود إبراهيم محمد عبد القادر
- ٣٥ - عبد الرحمن بدوي: الزمان الوجودي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٥م.
- ٣٦ - عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
- ٣٧ - عبدالفتاح الديدي: نظرية المعرفة الناسلية، مجلة المجلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٩٥، ١٩٦٤م.
- ٣٨ - عبدالله محمد الغدامي: الموقف من الحداثة ومسائل أخرى، دار البلاد، جدة، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.
- ٣٩ - عبدالوهاب جعفر: خطاب الفلسفة المعاصرة أداؤه وإشكالياته، دار الوفاء، الاسكندرية، ٢٠٠٣م.
- ٤٠ - عبدالوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- ٤١ - عزت قرني: الذات ونظرية العقل، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م.
- ٤٢ - علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، منشورات ضفاف، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- ٤٣ - فؤاد زكريا: نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٨م.
- ٤٤ - لورانس بارانسكي: المفكر الفرنسي إدغار موران إصلاح الفكر هو إصلاح اجتماعي وذاتي في آن، ترجمة: عفيف عثمان، مراجعة: كريم عبدالرحمن، مجلة الاستغراب، ٢٠١٧م.
- ٤٥ - مارتن هيدجر: الفلسفة، الهوية والذات، ترجمة: محمد مزيان، تقديم: محمد سيلا، منشورات ضفاف، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- ٤٦ - مجدي عز الدين سعد حسن: من نظرية المعرفة إلى الهرمنيوطيقا، مجلة آداب النيلين، جامعة النيلين، كلية الآداب، المجلد ١، العدد ٢٣، ٢٠٠١م.

نظرية المعرفة عند إدجار موران

- ٤٧ - مجموعة من المؤلفين: أي فلسفة للقرن الحادي والعشرين؟ أورغانون القرن الجديد، ترجمة: أنطوان سيف، مراجعة: الحسين الزاوي، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- ٤٨ - محمد رضا زائري: الذات والغير بين المفهوم الكلي والمفاهيم الفرعية، مجلة الاستغراب، ٢٠١٨م.
- ٤٩ - محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.
- ٥٠ - محمود فهمي زيدان: كمنظ وفلسفته النظرية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.
- ٥١ - موريس كورنفورث: مدخل إلى المادية الجدلية، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، الجزء الثالث (نظرية المعرفة)، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
- ٥٢ - هبه عادل: التقدم العلمي - التقني وأزمة العالم: قراءة في فلسفة إدغار موران المستقبلية، مجلة الآداب، جامعة بغداد، كلية الآداب، العدد ١١١، ٢٠١٥م.
- ٥٣ - يعقوب فام: البراجماتية أو مذهب الذائع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.
- ٥٤ - يوسف كرم: العقل والوجود، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

ثالثاً- المراجع الأجنبية:

- 1-Alfred Tonness: Anotation on The problem of the past with especial reference to G. H. Mead, the Journal of philosophy, vol., 29, Issue 22, 1932.
- 2-Andrew .j. Reck :Recent American philosophy, A division of Random House , New York. 1964.
- 3-David L. Miller: G. H. Meades Concetion of present, philosophy of science, vol. 10, No. I, 1993.
- 4-David L. Miller: The individual and social self: the university of Chicago press; London and Chicago, 1982.

-
- 5-Duford Rhea:** The Future of the sociological classics, geogellen and unwin: London, 1981.
- 6-G. H. Mead:** New criticism of Hegelianism is it valid? American journal of Theology; vol. 5, 1901.
- 7-G. H. Mead:** The philosophy of The present, edited by, Arthur Emurphy, lasalle, iinois, open caut, 1932.
- 8-H. Shauer:** Pragmatism The Classic Writings, Hacked publishing company, Cambridge, 1982.
- 9-Herbert Blumar:** Sociological implications of the thought of G. H. Mead. American Journal of sociology: v. 71, Issue 5: 1966.
- 10-John Lachs :** The Future of philosophy, proceedings and addresses of American philosophical, association, vol, 78, No, 2, 2004.
- 11-John R.Searle:** The Future of philosophy, philosophical TransactionsBiological sciences, vol, 354, No, 1392, 1999.
- 12-Josseph L. Blau:** New and Movements in american philosophy New York, pretice, Hell, Ince, 1952.
- 13-Lucics Outlaw:** The Future of philosophy in America, Nous, vol, 25, No, 2, 1991.
- 14-Michael Dummett :** The Nature and Future of philosophy, Rivista di storia della filosofia, vol, 58, No, 1, 2003.
- 15-Rober E. Dewey:** The Future of philosophy, The journal of philosophy, vol, 53, No, 5, 1956.
- 16-Robert Disalle :** Understanding Space – Time , U. S. A, Cambridge University press , First published , 2006.
- 17-T.V. Smith:** The Social philosophy of G. H., Mead: American Journal of Sociology: vol. 37, Issue 3; 1931.